الباب الخامس

نشر التشيع وتصدير الثورة

الفصل العاشر

صـــرخة القرضـاوي

الفصل العاشر

صـــرخة القرضـاوي

الدكتور يوسف القرضاوي معروف عبر تاريخه الطويل بوسطية منهجه واعتداله الفكري وانفتاحه الثقافي، ولم يعرف عنه أبداً أنه كان متعصباً مذهبيًّا، بل كان دائماً داعياً إلى وحدة الأمة، والرجل له لقاءات وحوارات طويلة وممتدة مع المراجع الشيعية، وقد ضم عددًا منهم إلى (اتحاد علماء المسلمين) الذي يرأسه. لكن حينما تجمعت لدى الشيخ معلومات لم تتح لغيره، بحكم علاقاته المتعددة وثقة الناس فيه، صدم الرجل من هول ما عرف من معلومات تفصيلية عن الجرائم التي ارتكبتها إيران في العراق ودعمها لفرق وميليشيات الموت الشيعية ورعايتها لإستراتيجية تهميش وإبعاد السنة، حينما تجمعت هذه المعلومات أمام الرجل استشعر مسؤوليته الدينية أمام الله بوصفه داعية كبيراً ومجتهداً مرموقاً، فجهر بالحقيقة وحذر من الخطر.

لقد كانت الحقيقة أكثر مرارة، فها هي خيوط الجريمة الأخرى تتجمع أمام الشيخ، فتأتيه المعلومات المؤكدة والموثقة من كل مكان في العالم العربي تؤكد أن (نشر التشيع) يتم على أوسع نطاق، وأن الأموال الإيرانية تتدفق

لدعم هذا المشروع، فلم يجد الشيخ بدًّا من أن يجهر بالأمر على الملأ ويحذر قومه وهو المؤتمن.

كانت أول مرة يتحدث فيها القرضاوي عن هذه القضية في ندوة أقامتها نقابة الصحفيين يوم ٣١-٨-٢٠٠٦م، حيث حذر من المد الشيعي في مصر، منبهاً إلى أن الشيعة يحاولون اختراق مصر على أساس أنها تحب آل البيت وبها مقام الحسين والسيدة زينب، ولكن هذا شيء، وذاك شيء آخر.

وأكد أنهم أخذوا من التصوف قنطرة للتشيع والآن اخترقوا مصر في السنوات الأخيرة.

وتابع: (أدعو إلي التقريب بين المذاهب، وأؤيد «حزب الله» في مقاومته، ولكن لا أقبل أن يخترقوا بلادنا)، محذرًا من (وقوع مذابح مثل التي تحدث في العراق بين السُّنة والشيعة، فإذا حدث اختراق شيعي لمصر فيجب أن نكون على يقظة).

وقال القرضاوي: (حسن نصر الله لا يختلف عن الشيعة المتعصبين، فهو متمسك بشيعته ومبادئه، ويقول: يا علي، ولا يمكن أن ننكر هذا، ولكنه أفضل من غيره من القاعدين والمتخاذلين).

وذكر القرضاوي لقاءه كبار المسؤولين في إيران، مشيراً إلى أنه طلب منهم ضرورة الكف عن الكلام بأن القرآن ناقص، فأغلبهم يؤمنون بأن القرآن كلام الله ولكن يقولون هذا ليس القرآن كله، وقالوا: إن مصحف فاطمة كان ضعف هذا المصحف. وقال: طالبتهم بالتوقف عن سب الصحابة، فهم يتقربون إلى الله بسبهم ولعنهم، وأنه لا ينبغي أن يبشر أحدنا بمذهبه في

البلاد الخالصة للمذهب الآخر، وأن التقارب ليس معناه أن يتحول السُّني إلي شيعي ولكن نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه[1].

ثم كانت المرة الثانية حينما وقف الرجل، أمام (مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية) الذي بدأ أعماله يوم العشرين من يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٧م، رافضًا بشدة محاولات «التشيع» الإيرانية في بلدان عربية سنية بالكامل، معتبرًا أنها تدفع إلى «الفتنة» بين السنة والشيعة، متوجهًا في كلامه إلى آية الله محمد علي تسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في إيران: (لا يجوز أن يحاول مذهب نشر مذهبه في بلاد خالصة للمذهب الآخر .. ماذا ينفعكم أن تدخلوا بلدًا سنيًّا مثل مصر أو السودان أو المغرب أو الجزائر، وغيرها من بلاد خالصة للشافعية والمالكية، وأن تحاولوا أن تكسبوا أفرادًا للمذهب الشيعي؟ .. هل ستكسبون عشرة أو عشرين أو مئة أو مئتين؟ ولكن بعد ذلك تنجزون فتنة في البلد، وسيكرهكم الناس، ويلعنونكم بعد ذلك).

وطلب القرضاوي من المراجع الشيعية في العراق والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران (علي خامنئي) أن يقولوا كلمتهم؛ لأن إيران لها نفوذها في العراق، وتستطيع أن توقف هذه الفتنة، وتطفئ هذه النار التي ستأكل الأخضر واليابس.

وانتقد القرضاوي بشدة إيران، واتهمها بالوقوف وراء ما يحدث للسنة في العراق من قتل وتهجير طائفي، داعياً الشيعة إلى التوقف عما يستفز المسلمين مثل سب الصحابة رضي الله عنهم، إن كانوا حقًّا يريدون التقريب بين الطوائف والمذاهب الإسلامية.

وقال القرضاوي: (أهل السنة يهجرون من مناطقهم، والآن يحاولون أن يفرغوا بغداد من أهل السنة، لذلك لا ينبغي أن نسكت، مضيفًا: إن فرق الموت والميليشيات تدخل على الناس، وتقتلهم في بيوتهم، وهذا يدل على أن هناك حقداً أسود، داعياً الشيعة إلى التبرء ممن يقفون وراء هذه الأعمال)[٢].

القرضاوي وصف الشيعة في تصريحات أخرى بالمبتدعين، وحذر أهل السنة من خطرهم، رافضاً أولاً سبَّهم للصحابة، وثانيًا ما سماه غزو المجتمع السني بنشر المذهب الشيعي، عن طريق رصد أموال ضخمة وكوادر مدربة، معتبرًا أنه ليس لدى السنة أي حصانة ثقافية ضد هذا الغزو، وأن علماء السنة لم يسلحوهم بأي ثقافة واقية؛ لأننا نهرب عادة من الكلام في هذه القضايا مع وعينا بها؛ خوفاً من إثارة الفتنة وسعياً إلى وحدة الأمة.

وإن المرء ليعجب من الذين انتقدوا تصريحات الشيخ معتبرينها تصب في مصلحة الفرقة وضد وحدة الأمة، ونسى هؤلاء أن القرضاوي أفنى عمره داعيًا إلى الوحدة، ومحذرًا من المذهبية الضيقة والطائفية والتكفير، وهو من أوائل من التزم منهج التقريب بين السنة والشيعة، وما قاله الشيخ ليس تفريقا للأمة بقدر ما هو خط أحمر يحذر منه؛ حتى لا تحدث الفتنة الحقيقية عندما يصبح الشيعة قوة مؤثرة كما هو الحال في العراق.

والذين يتغنون بالوحدة الإسلامية يجب أن يعلموا أن معيار الوحدة هو التوافق على الثوابت، فإذا اختلف في الثوابت فلا قيمة لوحدة مع أناس يلعنون خير القرون، فأي وحدة هذه التي تقوم على سب الأخيار الكرام؟

وتاريخ القرضاوي حافل بالعطاء وجهود التوحيد ولمّ الشمل، وهو صاحب فلسفة في التأليف ورص الصفوف، وصاحب صولات وجولات لدعم كل ما يؤدي إلى بلورة مفهوم «الأمة» ويحافظ عليها حتى تكون حقيقةً لا وهماً.

إن القرضاوي يرصد جهود نشر التشيع في البلاد السنية منذ مدة، ولم ينطق بما نطق به إلا بعد أن طفح الكيل.

وقد كشفت الأزمة أن الشيعة يدعون أنهم دعاة وحدة ورعاة للتقريب بين المذاهب، ولكنهم على أرض الواقع يفعلون النقيض، فمخططاتهم وأموالهم تنطلق من أجل نشر التشيع في البلاد السنية.

فالشيعة يكثرون من الاستشهاد والاستقواء بفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري وعدِّه مذهباً خامساً يضاف إلى مذاهب السنة الأربعة، لكن لم يفعل الشيعة شيئًا مماثلاً، بل إننا نجد في كتاب حسين فضل الله: (مسائل عقدية) ص١١٠ ما ينفي هذا؛ حيث أجاب عن سؤال يقول: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة، وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟ فكان جوابه بالنص: (جواب: لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة).

ولم يُصدر أحد مراجع الشيعة بيانًا أو فتوى يلزم بها أتباعه بحرمة سب الصحابة ولعن أبي بكر وعمر وعائشة، ولم يصدروا فتوى بأن الذي يقول بتحريف القرآن أو بأن فيه زيادة أو نقصاً، فإن هذا قول قد يخرج صاحبه من الملة.

وقد أكدت الأزمة أن محاولات تصدير الثورة الإيرانية ونشر التشيع مستمرة منذ الثورة، فبعد الثورة مباشرة، احتدم جدل صاخب بين من كانوا يريدون أن تكون ثورتهم ثورة إسلامية وللمسلمين جميعهم وبين من اعتبروها استجابة للثأر التاريخي الذي طال أمده والذي لا بد من تحقيقه.

وحاول الذين أرادوا أن تكون هذه الثورة ثورة إسلامية شاملة، ألا يتضمن الدستور أي نص على المذهب الجعفري (الإثنا عشري) وجادلوا طويلاً وأصروا على ضرورة ألا تكون هذه الثورة للشيعة فقط، وجادلوا وأصروا على ألا تجري أي محاولة لتصديرها، لا إلى الدول الإسلامية القريبة ولا إلى الدول الإسلامية البعيدة، وهؤلاء رأوا أنه من الأفضل بناء دولة إسلامية نموذجية منفتحة على كل المسلمين، ولا تتدخل في شؤون الآخرين الداخلية، وتحافظ على حقوق الإنسان، وتسمح بالرأي المخالف وبالحريات العامة، وتكون دولة ديمقراطية تعيش فيها الأقليات القومية والمذهبية والدينية بأمان واستقرار بعيداً عن أي اضطهاد طائفي أو إثني.

وجهة النظر هذه لم يحالفها النجاح، فقد تدخل الخميني في اللحظة الحاسمة، وأكد أن الدستور يجب أن يتضمن نصًّا واضحاً وصريحاً على أن دين الدولة هو الإسلام على المذهب الجعفري (الإثنا عشري)، كما أكد ضرورة أن تكون هذه الثورة ثورة دائمة، وأن يجري تصديرها بالتبشير المبرمج والمدعوم وبالقوة.

إضافة إلى الجانب الديني العقديّ، فإن تصدير التشيع ومبادئ الثورة الإيرانية يتم في أوساط الشباب العربي على أساس أن الشيعة الآن، بقيادة إيران، هم الذين يقاومون إسرائيل، وما حرب صيف عام ٢٠٠٦م إلا خير دليل على ذلك، في وقت انبطحت فيه الدول العربية السنية وقادتها أمام إسرائيل في اتفاقيات صلح مخزية.

وإذا كان الإعلام الشيعي يقول: إن الشباب السني معجب بالمنهج السياسي الشيعي الثوري، فقد كانت أزمة تصريحات القرضاوي فرصة ليوضح العلماء

والمؤرخون الحقائق للشباب، ويؤكدوا لهم أن أهل السنة على مدار التاريخ هم من حموا هذه الأمة ومقدساتها وأراضيها.

وتاريخ الشيعة لم يعرف انخراطهم في الثورات ضد الحكام الظلمة وضد الاحتلال الأجنبي إلا في القرن العشرين! ولقد ظلوا طوال تاريخهم منذ الإمام جعفر الصادق (٨٠- ١٤٨ هـ ٦٩٩- ٧٦٥ م) يعلقون الاشتغال بالسياسة والقيام بالثورة وبناء الدولة وتأسيس الحكومة على ظهور الإمام الغائب (٢٥٦هـ - ٨٧٠م) .. وكان أهل السنة والجماعة - طوال ذلك التاريخ - هم الذين يقودون الثورات وحروب التحرر الوطني والقومي والجهاد الإسلامي.

أهل السنة والجماعة هم الذين رفعوا رايات الجهاد في الفتوحات الإسلامية الأولى التي أزالت طاغوت استعمار الروم والفرس وحررت الأرض والضمير وفتحت الأبواب لانتشار الإسلام، حتى في البقاع التي تشيع أهلها.

وإن أهل السنة هم الذين أعادوا تحرير الشرق وإنقاذ الإسلام وحضارته وأمته من الحملات الصليبية (٤٨٩-٦٩٠هـ - ١٠٩٦-١٢٩١م) ومن الغزوة التترية في تاريخنا الوسيط.

وأهل السنة أيضًا هم الذين تصدوا للغزوة الغربية الحديثة التي بدأت منذ إسقاط غرناطة (١٤٩٢م) وحتى الآن.

لقد فتح المسلمون الأوائل في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون، وأزالوا القوى العظمى التي استعمرت الشرق وقهرته دينيًّا وثقافيًّا ولغويًّا وحضاريًّا أكثر من عشرة قرون من الإسكندر الأكبر (٣٥٦- ٣٢٤ ق م) إلى هرقل (٦١٠-٦٤١م) في القرن السابع للميلاد، وبهذا الفتح

الإسلامي المبين، فتح هؤلاء الفاتحون الطريق أمام انتشار الإسلام في معظم بقاع العالم، وجميع هؤلاء الفاتحين - من الخلفاء والصحابة والمجاهدين - يتولاهم أهل السنة، ويصلون ويسلمون عليهم، ويعدّونهم الأئمة والقادة الذين أقاموا الدين ونشروه، وأسسوا، بينما الشيعة حكموا على جمهور هذا الجيل الفريد من الصحابة بالكفر والردة، بل أوجبوا لعنهم والبراءة منهم[٣].

التناقض في الخطاب الإيراني جعل كاتباً إسلاميًّا يوجه عشرة أسئلة لأولئك المؤيدين للخطاب الإيراني ولخطاب حزب الله:

(١) هل نحن – الإسلاميين - جزء من المشروع الإيراني الحالي؟ وهل هذا المشروع يخدم المشروع الإسلامي العام أم يتضاد ويتناقض معه؟

(٢) هل الموافقة والتعاون والتنسيق الإيراني مع الأمريكيين والغربيين في احتلال عاصمتين إسلاميتين، وهما كابول وبغداد يتسق مع المشروع الإسلامي الذي يرفعه ملالي طهران، وأمر حلال ومباح لا غبار عليه؟

(٣) هل التشهير بالمقاومة العراقية والأفغانية والصومالية يخدم المشروع الإسلامي الذي يرفعه، وينادي به ملالي طهران؟

(٤) هل الصمت المطبق على مجازر المليشيات الصفوية بحق المسلمين العراقيين والفلسطينيين المهاجرين إلى العراق يخدم المشروع الإسلامي الكبير؟ وهل فلسطينيو شارع حيفا في بغداد الرشيد المحتلة يختلفون عن فلسطينيي غزة ونابلس والقدس وغيرها؟

(٥) الهجمة الشرسة على العلامة الدكتور يوسف القرضاوي من ملالي طهران ووكلاء طهران وأدواتها، هل تخدم المشروع الإسلامي الكبير؟

(٦) هل يحق لطهران أن تتفاوض مع الحاخامات، وتتفاوض مع الأمريكيين والغربيين، ويقوم رئيسها بزيارة لبغداد المحتلة، ويحق لها أن تدخل في الاتفاق على سلة التسهيلات الغربية والأمريكية، بينما تحذر في المقابل الغرب من التفاوض مع من تصفهم بالإرهابيين والظلاميين والقتلة والمجرمين من مقاتلي الطالبان الأفغان؟

(٧) هل يجوز التنازل عن المبادئ والأفكار والسياسات من أجل حفنة من التومانات والدولارات الإيرانية؟ وهل يجوز ذلك مقابل غض النظر عن مآسي المسلمين التي يسببها هذا التعاون بذريعة أن الدول العربية والإسلامية لا تدعمنا، ومن ثم هل الغاية تبرر الوسيلة؟

(٨) هل المقاومة والتحرير حكراً على طهران ووكلائها أو من يخدمون مشروعها؟ ومن ثم علينا جميعاً الوقوف سدًّا منيعاً ضد أي مقاومة لا تتسق مع المصالح الإيرانية، كما يجري عمليًّا في العراق وأفغانستان والصومال والشيشان؟

(٩) لماذا يعترض الشيعة وإيران على كلام الرئيس المصري - المخلوع - حسني مبارك بأن كل الشيعة في العالم تابعون لإيران، وأن ولاءهم لها وليس لدولهم؟ بينما نرى في النيويورك تايمز فتوى لأحد علماء شيعة العراق حين استفتي بما ينبغي على الشيعي إذا هوجمت طهران؟ فرد المسؤول طبعاً بضرب كل المصالح الأمريكية، أما أن يحتل بلده من قبل الأمريكيين والغربيين، فهذا لا غضاضة فيه ما دام يخلصهم من حكم سني شكلاً؟

(١٠) هل ما تفعله إيران من نشر التشيع إسلامي، ويخدم المشروع الإسلامي والوحدة الإسلامية، وعلينا دعمه؟[٤].

ولعله من المفيد هنا أن نستعرض ما تقوم عليه حجة الذين اعترضوا على صرخة القرضاوي التحذيرية.

ففور صدور تصريحات القرضاوي انبرى د. محمد سليم العوا الأمين العام لـ(الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) بكتابة بيان باسم الاتحاد لتوضيح تصريحات القرضاوى الذي يشغل منصب رئيس الاتحاد، وهذا هو نص البيان:

تلقت الأمانة العامة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين عددًا كبيرًا من الأسئلة والاستفسارات من مختلف بلدان العالم، حول تصريحات العلامة الدكتور يوسف القرضاوي.

- لم يكن في كلام فضيلته أي اتهام للسادة الصوفية أو لفكرة التصوف نفسها على النحو الذي فهمه بعض من حضر اللقاء أو قرأ ما نشر عنه، وإذا كان لفظ التعصب قد جرى على لسان فضيلته في هذا السياق فإن حقيقة المقصود به هو التمسك بالمذهب وبالآراء التي يعبر عنها أو يتبناها علماء الشيعة الإمامية، وهو أمر محمود لا عيب فيه ولا مأخذ عليه، ولم يكن ذكر التعصب إلا سبق لسان مقصودًا به معنى التمسك المحمود بالمبدأ جملة وتفصيلاً.

- ما ذكره فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي عن رفضه لمحاولات بعض الشيعة التأثير في أفراد من أهل السنة لتحويلهم إلى المذهب الشيعي كان المقصود به تلك المحاولات الفردية.

- إن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي يضم العلماء من المذاهب جميعاً، ولرئيسه نواب ثلاثة من الشيعة والسنة والإباضية، يؤكد موقفه الثابت من ضرورة وأد أي فتنة بين المسلمين في مهدها، ومن

ضرورة التقريب بين أهل المذاهب الإسلامية وعلمائها وأتباعها، ومن ضرورة التعاون بين المسلمين كافة فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه.

وبعد هذا البيان ألقى الدكتور العوا محاضرة في نقابة الصحفيين، حول السنة والشيعة، قرر فيها النقاط الآتية بحسب ما جاء في موقع (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين):

(١) أكثر أهل السنة لا يعرفون عن الشيعة إلا أنهم طائفة تغالي في التشيع، مع أن الشيعة يعرفون عن السنة الكثير.

(٢) عندما ينسب إلى الناس أقوال أو نحاسبهم على آراء، فيجب أن نحاسبهم على ما قالوه فقط، دون التطرق إلى النتائج المترتبة على أقوالهم؛ لأن القاعدة المسلمة أن «ناسب المنهج ليس بمنهج» أي إنني لست المسؤول عن كلام قلته وفهمه الناس بأسلوب وشكل خاص بهم.

(٣) الشيعة هي مذهب فقهي.

(٤) على الرغم من أن هناك مقولات تزعم أن الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن ونسب إلى أحد كتب الشيعة ذلك، ولكن يجب أن نعلم أن هذه المقولة حادثة كما أنها منكرة.

(٥) منذ ١٠٧ أعوام تقريبًا، كتب المحدث النوري الطبرسي كتابًا بعنوان: (فصل الخطاب في تحريف الكتاب) جمع فيه روايات من كتب الشيعة، وأشار إلى أن تلك الروايات تدل على تحريف القرآن. وقبل النوري لم يقل أحد بتحريف القرآن على الإطلاق.

(٦) هذا الكتاب قوبل بانتقادات شديدة من قبل الحوزة العلمية، وضجرت بآرائه ولم يقبل الشيعة منذ ذلك الوقت أن يقال: إنه تم تحريف القرآن. وتم التشكيك في كتابه والإشارة إلى أن الروايات التي جمعها مجهولة وضعيفة الرواية، وهو ما أكده الخوميني الذي اتهم رواياته بالضعف وأنها محشوة بالكثير من الحكايات الهزلية الضعيفة.

(٧) الاتفاق بين السنة والشيعة يصل إلى نحو ٩٠٪ والاختلاف في ١٠٪ وذلك يُعدّ نسبة بسيطة، خاصة أنها في التفاصيل، وليست في الأصول.

(٨) نشأت فرقة سياسية أدت إلى توسيع الفجوة بين المسلمين والشيعة بسبب الأحداث السياسية بعد اندلاع الثورة الإيرانية.

أما أوجه الاختلاف بين السنة والشيعة فيوجزها الدكتور العوا في أمور عدة أهمها ما سمي بـ (عصمة الأئمة) وهو الاعتقاد الشائع لدى الشيعة الإمامية ونحن لا نقبل هذا الاعتقاد؛ لأنه لا عصمة بعد رسول الله، ويؤكد الدكتور العوا أنه وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أن مسألة الإمامة هي من الفروع، ولا ينبغي أن نقحمها في الأصول[٥].

ولعل المتأمل لحجج الدكتور العوا يجدها ما هي إلا محاولات توفيقية ليس لها ما يسندها من الواقع، ففرق بين الرغبة العامة لوحدة المسلمين التي هي هدف لكل مسلم وبين واقع تحريضي مذهبي ينسف كل محاولة مخلصة للوحدة، ويعمل فقط لمصلحة المذهب ولغرض إقامة كيان سياسي كبير يبتلع دول الجيران دون النظر لأي روابط دين أو أخوة.

وهذه التصريحات التي تعمل على الموازنة والتي تراعي عدم إغضاب أي طرف، ليس لها قيمة في واقع يقوم فيه أحد الأطراف بالتواطؤ مع المحتل الأجنبي ضد الدول العربية والإسلامية.

فهل جرائم تأسيس المليشيات الشيعية المتطرفة وتسليحها وتدريبها وإطلاقها لكي تقتل، وتشرد السنة يناسبها البيانات التي تراعي الخواطر أم لا يناسبها إلا صرخة مزلزلة مثل التي جأر بها الدكتور القرضاوي؟ تدعو كل طرف لكي يقوم بمسؤولياته التي تتطلب عملاً حقيقيًّا، وليس كلامًا أو شعارات.

الهوامش:

(١) صحيفة المصري اليوم، ٢-٩-٢٠٠٦م.

(٢) القرضاوي يتهم إيران بنشر التشيع في الأوساط السنية، صحيفة أخبار اليوم اللبنانية، ٢١ يناير ٢٠٠٧م.

(٣) د. محمد عمارة، تاريخ أهل السنة النضالي، موقع المصريون، ١٦-٤-٢٠٠٧م.

(٤) أحمد موفق زيدان، عشرة أسئلة لإسلاميين يدافعون عن طهران، موقع المصريون، ٢٦ - ١١ - ٢٠٠٨م.

(٥) موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، دون تاريخ.

الفصل الحادي عشر

التشيع في سوريا.. الاختراق الأكبر

الفصل الحادي عشر

التشيع في سوريا.. الاختراق الأكبر

في منتصف يونيو ٢٠٠٦م تم توقيع معاهدة دفاع مشترك بين طهران ودمشق، إثر زيارة وفد عسكري سوري رفيع وكبير، يتقدمه وزير الدفاع حسن توركماني، بعد زيارات وأنشطة ومعاهدات مكثفة على خط دمشق - طهران في شكل لا سابق له منذ قيام التحالف الإستراتيجي بين البلدين في الثمانينيات من القرن الماضي، عندما اختار الرئيس حافظ الأسد الانحياز إلى إيران في حربها مع عراق عدوه اللدود صدام حسين.

وقد تم قراءة هذه المعاهدة من زاويتين مختلفتين: ففي حين ركز البعض على دورها في تفعيل وتوثيق التعاون الإستراتيجي والعسكري في محور طهران - دمشق والجبهة المشتركة التي تقرر إقامتها لمواجهة مخططات العزل والحصار الأمريكية والدولية، يصل أحد التقارير الغربية في قراءته لحجم الاختراق الإيراني الأخطبوطي لسورية إلى تشبيهه بالاختراق السوري للبنان خلال مرحلة الهيمنة السورية عليه، أي إن النظام السوري بات يشرب من الكأس نفسها التي كان يشرب منها النظام اللبناني.

ظاهرة التشيع في سورية وحالة السخط الشعبي تجاهها دليل على ضعف النظام وعلى وقوعه رهينة في أيدي الإيرانيين. فالنفوذ المتزايد الذي تؤديه إيران داخل سورية واسع وممتد وعلى كل المستويات، وليست (ظاهرة التشيع) والتغلغل الإيراني سوى الجزء الظاهر منها، والسفير الإيراني في دمشق يؤدي حاليًّا دوراً محوريًّا داخل سورية.

لقد قام النظام السوري في عهد حافظ الأسد، ثم في عهد ابنه بشار بتقديم تسهيلات غير محدودة لإيران في سورية، منها:

(١) السماح بدخول عشرات الألوف من الإيرانيين إلى سورية في شكل دوري (أكثر من مليون سائح سنويًّا) حيث يتوزع هؤلاء على المراكز السياحية الدينية الشيعية، مثل السيدة زينب والسيدة سكينة وسائر الأضرحة التي تُعدّ عتبات مقدسة شيعية يؤمها آلاف الإيرانيين.

(٢) التغاضي عن الأنشطة الإيرانية المثيرة للشبهات وعن الانتشار الكثيف للمظاهر الشيعية في السنوات الأخيرة الذي شمل كل المحافظات في بلد يُعدّ ذا أغلبية سنية ساحقة، ولا يمثل الشيعة فيه (إذا استثنينا العلويين) سوى واحد في المئة ونحو ١٥٠ألف نسمة (٢٠٠٦م). ومن ذلك التغاضي عن التوسع في بناء الحوزات التي تفيد المعلومات أن عددها قد ازداد بشكل كبير بدعم إيراني واضح، حيث قامت حوزات متعددة تتوزع مرجعياتها الدينية بين آية الله على خامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية وآية الله علي السيستاني المرجع الشيعي العراقي والمرجع اللبناني محمد حسين فضل الله.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى التغاضي عن التوسع في أنشطة الدعاية والترويج للتشيع، حيث تفيد المعلومات أن دعاة شيعة يطوفون المدن والقرى

السورية لنشر المذهب الشيعي وفتح حسينيات ومراكز دينية وثقافية ومراكز تدريس ومكتبات في غالبية المناطق، ووصلت إلى حلب وضواحيها وحمص وحماة والحسكة والقاقشلي والرقة واللاذقية، ودير الزور وغيرها، ولم تعد هذه الأنشطة محصورة في ضاحية السيدة زينب، كما في السابق.

وفي موازاة ذلك السماح بإقامة المناسبات الدينية والموالد والمآتم والمؤتمرات الثقافية التي يحضرها مسؤولون رسميون، أي إن هناك تشجيعاً على ذلك من قبل النظام. وقد لوحظ أن إيران تؤدي دوراً في تمويل بناء مستشفيات ومستوصفات خيرية ومساجد وحسينيات انضمت إلى مسجدَي صفية ودرعا في دمشق ومسجد النقطة في حلب ومشفى الخميني في دمشق والمشفى الخيري في حلب.

(٣) التغاضي عن النشاط المتزايد للجمعيات الإيرانية: ويتردد في سورية أن أنشط الجمعيات الخيرية حاليًّا وأكثرها فعالية في دعم ومساعدة المحتاجين هي جمعيات ذات تمويل إيراني تتولى توفير مساعدات مالية شهرية للمسنين وتوزيع الأرز والسكر والطحين.

(٤) التغاضي عن ظاهرة الدعوة إلى التشيع والعمل على إقناع الشباب السوري باعتناق المذهب الشيعي، ودفع الأموال لمن يتشيع، وتقديم عروض الزواج لهؤلاء الشباب، وتحمل تكاليف ذلك، ومنح العطايا لرؤساء العشائر، مثل السيارات والأموال لهم ولعشيرتهم ممن يتشيع، ودعوتهم لدراسة العلوم الشرعية (الشيعية) داخل سورية وخارجها.

(٥) التعاون الجامعي والثقافي: ففي الآونة الأخيرة بدأ الإيرانيون بإعداد برامج تعاون ثقافي تشمل زيارات منظمة إلى سورية وتوزيع دعوات على فعاليات من مختلف القطاعات السورية وإلى أساتذة الجامعات

وتخصيص منح دراسية في الجامعات الإيرانية. وقد أدى هذا التعاون الجامعي أخيراً إلى إدخال تعليم اللغة الفارسية إلى عدد من الجامعات السورية، وهو ما يعني أن العملية لم تعد تقتصر على نشر التشيع، وإنما أضيف إليها عملية نشر التفريس أيضاً.

وكما سنوضح لاحقاً، فإن حالات اعتناق المذهب الشيعي شهدت أخيراً تزايداً لافتاً، بحيث يقدر عدد الشيعة السوريين الجدد بالآلاف.

ومن أهم وسائل إيران لنشر التشيع في سورية، المركز الثقافي الإيراني، الذي يعمل ليلاً ونهارًا ودون كلل أو ملل لنشر التشيع في سورية، وقد أصبح بمنزلة أخطبوط مد أذرعه في كل اتجاه. وتتنوع أنشطة المركز من تعليم اللغة الفارسية في دورات مستمرة ضمن المستشارية الإيرانية أو في مركز يتبع لها في اللاذقية، ويدعم المركز أقسام اللغة الفارسية الموجودة في ثلاث جامعات هي دمشق، وحلب، وحمص عبر أساتذة إيرانيين وحتى في الكتب، كذلك يدعم تعليم اللغة الفارسية في معاهد اللغات وفي جامعات تشرين ودمشق وحلب.

ويقيم المركز معارض الكتب، ولديه معرض خاص في ذكري الثورة، في شهر شباط (فبراير) من كل عام يستمر مدة عشرين يومًا داخل المستشارية. ولديه معرض آخر يستمر ثلاثة أشهر في مرقد السيدة زينب. وتقيم المستشارية الثقافية الإيرانية أسابيع ثقافية في كثير من المدن والمحافظات السورية، تضم إضافة إلى معرض الكتب، معرض الفنون البدوية الإيرانية، ومعرضاً لأعمال الفنانين الإيرانيين، وندوة علمية ثقافية عن العلاقات الأدبية بين الثقافتين الفارسية والعربية، يُشارك فيها مفكرون وأساتذة من إيران وسورية.

ويقيم المركز ندوة أسرية في كل شهر خاصة بموضوعات تربوية للأسرة، وندوة شهرية في مركز الدراسات الإسلامية الإيرانية العربية ضمن المستشارية حول موضوعات ثقافية وفكرية عامة كحوار الأديان والمذاهب، ويقيم المركز ندوات سنوية خاصة في ذكري انتصار الثورة.

وضمن الاتفاقيات بين الوزارات في إيران وسورية، هناك أكثر من ٢٠٠ طالب يتابعون دراستهم المتخصصة في حقل الطب في سورية، وهناك عشرة طلاب دكتوراه في الأدب العربي، وهناك طلاب في فروع أخري، في المقابل يوجد في إيران نحو ١٢ طالباً وطالبة سوريين يحضرون رسالة دكتوراه في الأدب الفارسي، وطلاب آخرون في اختصاصات مختلفة. أما منح الدراسة المقدمة من الحوزات العلمية في السيدة زينب فهذه ترتبط بالمكاتب التابعة لعلماء الدين سواء كانت من إيران أو العراق أو حتى لبنان[١].

تجلى التحالف الإستراتيجي بين النظام السوري برئاسة حافظ الأسد والنظام الإيراني بعد الثورة بصورة كبيرة في الحرب الإيرانية العراقية عام ١٩٨٠م حيث بادر نظام الأسد بالتحالف مع إيران ليطعن العراق من الخلف وعلى خلاف ما توقع الكثيرون، حيث كان من المفترض أن يتحالف النظام السوري مع العراقي، فكلاهما يستمد من معين واحد، وهو القومية العربية وأفكار حزب البعث.

وخلال سنوات الحرب وبعدها، قدّمت إيران لسورية مئات الملايين من الدولارات على هيئة نفط رخيص جداً، في حين سهّلت سورية لإيران رعاية (حزب الله) في لبنان. وحين انتهت الحرب عام ١٩٨٨م، استمرت شراكة إيران وسورية الإستراتيجية، حيث أدت معارضتهما لإسرائيل دور العامل الموحِّد الذي يجمع بينهما.

ونتيجة للنمو المطرد لظاهرة التشيع في سورية فقد ظهرت إلى الوجود في الآونة الأخيرة المئات من المقالات والدراسات والتقارير والكتب التي ترصد الظاهرة وتحذر منها، بعد أن كانت الظاهرة غير مطروحة على جدول أعمال اهتمامات الرأي العام، سواء داخل سورية أم خارجها، خاصة بعد أن أثارها المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية (علي صدر الدين البيانوني)، ونائب الرئيس -المنشق- عبدالحليم خدام، في تصريحات إعلامية مختلفة قبل أن تأخذ طريقها إلى بيانات رسمية صادرة عن (جبهة الخلاص الوطني).

وقد صدرت أخيراً أول دراسة من نوعها في هذا المجال، موّلتها حركة (العدالة والبناء) المعارضة، وأُعلنت نتائجها في لندن، وقام بها باحثون ميدانيون على مدى ستة أشهر بناء على طلب إحدى الجهات الأوروبية الرسمية، وبتمويل منها. وتتناول الدراسة عملية (التشيع) في سورية خلال (١٩٨٥- ٢٠٠٥م)، مع ملحق إضافي تناول النصف الأول من عام ٢٠٠٦م، وقد أعد الدراسة تسعة باحثين ميدانيين متخصصين في مجال علم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي والإحصاء، ويشتركون في أنهم جميعاً علمانيون ونشطاء في حركات (المجتمع المدني) السورية.

وقد جاءت الدراسة في ٣٢ صفحة وتحت عنوان: (عملية التشيع في سورية ١٩٨٥م- ٢٠٠٦م، دراسة اجتماعية- إحصائية)، وأجريت الدراسة بشكل سري وبعيداً عن الأضواء، وجرى إغفال أسماء الباحثين والاحتفاظ بها على وثيقة مستقلة لدى الجهة الممولة في بلجيكا. وقدم للدراسة الكاتب والصحفي السوري نزار نيوف. وهو متخصص أكاديمي في الاقتصاد والعلوم السياسية والتاريخ الاقتصادي - السياسي المقارن للديكتاتوريات في حوض المتوسط.

وتتناول الدراسة عملية التشيع في المحافظات السورية الرئيسة؛ لكونها تضم الغالبية الساحقة من سكان سورية، ولأن عملية التشيع تجري فيها حصريًّا، ولأنها المحافظات التي تضم أقليات إسلامية مذهبية غير سنية (علويون، وإسماعيليون، وشيعة... إلخ) بنسب مختلفة، طاغية في بعضها، وضئيلة في بعضها الآخر. وأشار البحث إلى أن محافظة القنيطرة قد استثنيت من البحث بسبب وضعها الخاص (معظم أراضيها تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧م).

يشير البحث إلى أن الباحثين لجؤا إلى طريقة (مبتكرة) وهي تفرغ كل منهم لمنطقة جغرافية ديمجرافية بعينها، وعدم الالتقاء ببعضهم أو مناقشة المعلومات والنتائج الخام التي توصل كل منهم إليها طوال المدة المكرسة لجمع المعلومات والبيانات، وهي خمسة أشهر. أما الشهر الأخير فخصص لعقد حلقات نقاشية مغلقة فيما بينهم لتداول هذه المعلومات ومناقشتها وغربلتها واستخلاص المعطيات النهائية والنتائج بعد طرحها من الحساب حين تكون نسبة الارتياب أكبر من ٥٠٪، ومن ثم تحرير النص النهائي. أما مصادر المعلومات الخام فقد حددها البحث بأربعة:

- سجلات المحاكم الشرعية (المذهبية) وبيانات الزواج والطلاق.
- معطيات مستخلصة من سجلات مديريات وزارة الأوقاف في المحافظات.
- مقابلات شخصية ميدانية مع علماء دين ووجهاء ومواطنين عاديين ينتمون إلى مختلف المذاهب الإسلامية المعنية.
- معطيات مستخلصة من سجلات المراكز الثقافية الإيرانية والحوزات والمدارس الشيعية التي تشرف عليها وتدعمها، جزئيًّا أو كليًّا، السفارة الإيرانية في دمشق.

خلص البحث إلى نتائج تشير إلى أن إجمالي المسلمين المتشيعين في سورية خلال (١٩٨٥م ـ ٢٠٠٦م) لا يتجاوز (٦٢) ألفًا، أغلبيتهم الساحقة من أبناء الطائفة العلوية، ولا تتجاوز نسبة المسلمين السنة فيهم (١٥٠٠) مواطن! ويشير البحث إلى أن عدد الأسر «العلوية» التي تشيعت خلال المدة المذكورة بلغ (٨٧٨٣) أسرة. وبافتراض أن متوسط عدد أفراد الأسرة السورية هو ستة أشخاص، وأن جميع أفراد الأسرة تبعوا رب الأسرة المتشيع، فإن العدد الإجمالي للعلويين الذين تشيعوا يبلغ نحو (٥٢٧٠٠) شخص. هذا، بينما بلغ عدد الأسر الإسماعيلية المتشيعة نحو (١٢٠٠) أسرة، أي نحو (٧٤٠٠) شخص. واستناداً إلى هذه الأعداد تكون نسبة المتشيعين في كل طائفة/ مذهب خلال المدة المذكورة ٨٥٪ في الوسط العلوي؛ ١٣٪ في الوسط الإسماعيلي؛ و٢٪ فقط في الوسط السني.

ذكرت الدراسة ملاحظتين في هذا السياق: أولاهما أنه لم تسجل أي حالة تشيع في وسط الشيعة الموحدين المعروفين باسم (الدروز) أو في الوسط المسيحي بمختلف مذاهبه (الكاثوليكية، والأرثوذوكسية، والبروتستانتية... إلخ)، وثانيتهما أن ٧٪ على الأقل من المسلمين السنة الذين تشيعوا في دمشق وريفها جرت في أوساط العائلات الشيعية في الأصل، التي (تسننت) مع الزمن لأسباب مختلفة. وسجلت ملاحظة مشابهة لجهة المسلمين السنة في حلب، حيث أشارت إلى أن ١١٪ منهم ينحدرون من أصول شيعية في الأساس، وهو ما أسمته الدراسة بـ (تجديد التشيع).

خلصت الدراسة إلى أنه من الصعب ربط حالات التشيع بوضع اجتماعي (معياري) يمكن الركون إليه علميًّا في تحديد سبب أساسي أو طاغٍ وقف وراء

تشيع هؤلاء، سواء في الوسط السني أو في الوسطين الإسماعيلي والعلوي، ولا سيما الجانب الاقتصادي منه، أو ما أشير إليه في بعض وسائل الإعلام بـ(الفقر والحاجة إلى الأموال الإيرانية)، فالقسم الأكبر من المتشيعين السنة في دمشق (٤, ٦٤٪) ينتمون لعائلات تجارية أو مهنية وضعها الاقتصادي جيد أو ممتاز.

وإن القسم الأكبر منهم (نحو ٦٩٪) من حملة الشهادات الثانوية أو المعاهد المتوسطة وما فوق. واقتربت النسب في حلب من هذا الإطار. حيث سجل البحث أن ٦١٪ من متشيعي حلب ذوو وضع اجتماعي- اقتصادي متوسط أو جيد. فيما كان معظم الفقراء المتشيعين منهم (٣٩٪) ذوي أصول شيعية بعيدة (جددوا تشيعهم). أي إن دافعهم إلى ذلك (ديني). ولم تتجاوز نسب المتشيعين لأسباب (مالية) في الوسط السني إجمالاً (في جميع المحافظات التي جرى مسحها) الـ٣٪.

سجلت الدراسة (مفارقة طريفة) في هذا المجال، وهي أن بعض السنة المتشيعين - وخصوصاً طلاب الجامعات منهم - غير ملتزمين دينيًّا، وكان تشيعهم، حسب ما أفادوا للباحثين، (لأنهم أرادوا الحصول على مبلغ مالي لتسديد نفقات الدراسة أو الزواج على الرغم من أن الالتزام الديني، سواء أكان سنيًّا أو شيعيًّا، إسلاميًّا أو مسيحيًّا، لا يعني لهم شيئاً). وهو ما يمكن أن يصنف تحت عنوان (الانتهازية).

مفارقة أخرى سجلتها الدراسة في الملحق الإضافي لجهة المتشيعين السنة، ولا سيما من تشيع منهم بعد الحرب الإسرائيلية على لبنان في صيف عام ٢٠٠٦م، وهي أنهم تشيعوا حبًّا في (حزب الله) وحسن نصر الله!

في إطار التشيع في الوسط العلوي، أشارت الدراسة إلى أن الأغلبية الساحقة من المتشيعين (نحو ٧٦٪) هم من الطلاب أو العاطلين عن العمل. ولاحظت الدراسة أن قسماً من المتشيعين العلويين هم من العسكريين. وهذه الملاحظة منقولة من إفادة أحد علماء الدين العلويين في طرطوس؛ لأنه من الصعب معرفة النسبة الحقيقية من المتشيعين العسكريين لأسباب (لوجستية) مفهومة. أما المتشيعون في الوسط الإسماعيلي فجلهم (نحو ٨٤٪) من الفئات الوسطى وما فوق، منهم ٦٨٪ من حملة الشهادات الثانوية وما فوق.

واستخلصت الدراسات خمسة مؤشرات أساسية من عملية التشيع في سوريا، هي:

- معظم حالات التشيع جرت وتجري في الوسط الإسلامي المعتبر تاريخيًّا وفقهيًّا من العائلة الفقهية الشيعية (إسماعيليون، وعلويون...).
- نسبة التشيع المتواضعة جداً (٢٪) في الوسط السني لا تسمح بالحديث أبداً عن (عملية تبشير شيعي) في هذا الوسط، خصوصًا إذا أخذنا في الحسبان أن قسماً من هؤلاء ينحدرون أصلاً من عائلات شيعية (تسننت) مع الزمن لاعتبارات مختلفة.
- نسبة المتشيعين لأسباب اقتصادية - مالية (الوضع الاقتصادي-الاجتماعي) لا تسمح بالحديث عن (ظاهرة تشيع مأجور) أو (ظاهرة ارتزاق مذهبي).
- الغالبية الساحقة من حالات التشيع الإسماعيلي تندرج في (الإطار الرمزي) إذا جاز التعبير، كالالتزام بالصلوات الخمس في مساجد ينفصل فيها النساء عن الرجال بدلاً من الصلوات (شبه المختلطة)

عند الإسماعيليين، حيث النساء الملتزمات دينيًّا منهم لا يعنين كثيراً بوضع الحجاب وإزالة المكياج في أثناء الصلاة. وبالنسبة إلى المتشيعين العلويين، يلاحظ على الدراسة أنها اقتصرت في غالبيتها الساحقة على الرجال (٩٣٪). أما النساء المتشيعات فلم يلتزمن بما يعرف بـ(الشادور)-(الحجاب)، واكتفين بغطاء عادي للرأس. ويعود هذا أساسًا إلى أن الفقه الجعفري (على الطريقة العلوية) يعفي النساء من واجباتهن الدينية (المرأة غير مكلفة شرعيًّا).

- استمرار وتيرة التشيع على هذا النحو في الوسطين الإسماعيلي والعلوي، سيؤدي إلى (انقراض) الطائفة الأولى نظريًّا خلال عقد من الزمن، وإلى (انقراض) الثانية خلال ربع قرن[٢].

لكن هناك دراسة أخرى تقدم معلومات مختلفة عن الظاهرة، وهي الدراسة التي قام بها المعهد الدولي للدراسات السورية عام ٢٠٠٩م، تحت عنوان (البعث الشيعي في سورية.. مقدمات منهجية)، وهذه الدراسة تؤكد أن عدد المتشيعين الإجمالي في سورية في الوسط الاجتماعي السني وحده ضمن المجال الزمني من ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٧م هو (١٥٩٣٠).

هذه النتيجة تشكل أكثر من عشرة أضعاف الرقم الذي توصلت إليه الدراسة السابقة التي قالت: إن إجمالي عدد المتشيعين السُنَّة في سورية لا يتجاوز ١٥٠٠ شخص.

وأثبتت الدراسة أن الجزيرة السورية بمحافظاتها الثلاثة (الرقة، دير الزور، الحسكة) كانت فيها أكبر نسبة تشيع في الوسط الاجتماعي السني

على الإطلاق في المجال الزمني ١٩٩٩م-٢٠٠٧م، فعدد المتشيعين في هذه المنطقة وضمن هذا المجال الزمني يصل إلى ٦٠٨٠ شخصاً، مما يعني أن نسبة المتشيعين من هذه المنطقة وحدها هو ٧٦٪ من نسبة المتشيعين السُّنة الإجمالية في عهد بشار الأسد، و ٣٨٪ من إجمالي عدد المتشيعين في المجال الزمني ١٩١٩م- ٢٠٠٧م.

وهذه النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة تناقض تمامًا مع ما وصلت إليه الدراسة السابقة التي وصفت العدد الإجمالي الذي وصلت إليه بأنه لا يشكل إلا أجزاء عشرية متناهية الصغر (بضع عائلات تعد على أصابع يد واحدة)!

وحسب ما توصلت إليه هذه الدراسة فإن أكبر نسبة تشيُّع في الوسط السني هي في محافظة دير الزور، تليها محافظة إدلب، وتحتل الدرجة الثالثة مدينة حلب، في حين أصغر نسب التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حماه أقل من ١٪.

وهي نتيجة تختلف جذريًّا عما ورد في الدراسة السابقة(٣)، بل هي معاكسة لها، فقد زعمت تلك الدراسة بأن أعلى نسبة التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حلب (٤٦٪) وأن محافظة إدلب كانت أدنى النسب (٤٪) في المحافظات، في حين أن دير الزور ومحافظات الجزيرة شكلت جميعها أجزاء عشرية متناهية في الصغر، أي أقل من ١٪.[٣]

وبدا النفوذ الإيراني أكثر وضوحاً في سوريا، سواء على صعيد المواقف السياسية الرسمية، أو على صعيد المظاهر الاجتماعية والدينية داخل المجتمع

السوري، فلأول مرة باتت الوفود الإيرانية والعراقية تقيم جلسات الشتم للصحابة والأمويين في عاصمة الأمويين دمشق، في حين أن عقد حلقة لتدارس القرآن الكريم ممنوعة في سورية إلا بإذن أجهزة الأمن، ولأول مرة بات يتحدث ما يعرف باسم (ممثل قائد الثورة الإسلامية في سورية)، في حين أن الأحرار في سورية، من إسلاميين وغير إسلاميين، ممنوع عليهم مجرد انتقاد النظام، تحت طائلة السجن أو الموت. ولأول مرة باتت المظاهر الاحتفالية بأفكار الخميني علنية إلى درجة تنظيم (تظاهرات ثقافية).

وللتأكيد على ذلك، فقد نقلت وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا) في ٢٠٠٨/٤/١٥م، عن مجتبى الحسيني، ممثل قائد الثورة الإسلامية في سورية، أن مراسم ذكرى رحيل الإمام الخميني لهذا العام تقام على أفضل وجه في مقامي السيدة زينب والسيدة رقية بدمشق، وأن العالم اليوم يحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى الآراء والأفكار المتقدمة للإمام الخميني، وأن شعبي سورية ولبنان يبحثان عن هذه الآراء والأفكار أكثر من بقية شعوب العالم. وكانت مراسم رحيل الخميني قد أقيمت أيضاً في عدد من الحسينيات والمراكز الثقافية في سورية بإشراف (المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية).

وفي إطار مد النفوذ الإيراني إلى داخل سورية، ظهرت في عهد بشار كثير من الشركات الإيرانية الضخمة، التي تعمل في مجالات الصناعة والنفط والبناء، ووفّر النظام السوري التغطية الكاملة لعمل الموفدين من جماعة عبد العزيز الحكيم، سواء بين العراقيين المهجرين، أو السوريين المقيمين، ولا سيما في محافظة درعا، حيث تنشط الدعوة، والغطاء نفسه موفر لتوزيع الكتب

والمنشورات التي تدعو إلى التشيّع في مختلف المحافظات السورية، على الرغم من التدقيق الشديد الذي يمارسه النظام السوري على المواد الدينية المختلفة.

التشيّع السياسي، بمعنى التشيّع المرتبط بإيران، هو أحد أساليب النظام السوري لدعم أسباب بقائه، على الرغم من أن مشروعاً كهذا يعرّض المجتمع السوري للخطر، ويفاقم مشكلاته الداخلية، وهو مشروع، الله وحده يعلم، إلى أي مشكلة طائفية ومذهبية سيقود سورية، لكن يبدو أن البقاء في السلطة وضرورات التحالفات الإستراتيجية أهم وأبقى لدى آل الأسد[٤].

إيران والثورة السورية

أطلق المرشد العام لإيران آية الله علي خامنئي فتواه واتهامه للثورة الشعبية السورية التي اندلعت في ١٥ مارس ٢٠١١م، بأنها عمل من تدبير الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والعالم الغربي ضد النظام السوري الممانع وصاحب الصمود والتصدي.

هذه الفتوى تهجم سافر وظالم للشهداء السوريين الأطهار الذين سقطوا، وهم عزل إلا من حناجرهم وهديرها بأصوات الحرية والكرامة، وهي فتوى سياسية خاصة ذات أغراض دنيوية متحيزة لا علاقة لها أبداً بالقيم الإسلامية ولا بالمعايير الدينية ولا بالمبادئ الأخلاقية التي تصنف الظالم ظالمًا و المجرم مجرمًا والدموي دمويًّا بصرف النظر عن أصله و فصله.

ولا ندري وفق أي معايير صنف خامنئي ثورة الشعب السوري بكونها ثورة مدعومة أمريكيًّا؟ وما هي الأدلة الشرعية والثبوتية التي تدعم رأيه؟ وهل يمتلك وثائق رسمية تؤيد رأيه و تساند طروحاته؟ كيف يبرر خامنئي استشهاد

آلاف الشهداء السوريين في ساحة المواجهة مع نظام القتلة والبرابرة في الشام ومع استمرار مهرجان القتل وسفك الدماء؟ وهل يرضى خامنئي عن قتل الأطفال بالجملة وعن حملات القمع التي تقوم بها المخابرات السورية وعناصر (الشبيحة) المجرمين الذين يرفعون شعارات تؤله قائد البرابرة بشار الأسد، وتجعله إلهاً فوق الآلهة؟

هل يرضى الولي الفقيه، وهو ولي أمر المؤمنين كما يدعي وكما هو مفترض وضمن واجباته الشرعية المعلنة، عن كل هذا القدر الهائل من سفك الدماء لمسلمين وموحدين كل ذنبهم هو رفضهم للظلم و للمطالبة بحريتهم وكرامتهم وأرزاقهم ومستقبل أبنائهم؟

كيف يتهم خامنئي كل هذا القدر الهائل من الشهداء والجرحى والمعتقلين والمهجرين من ديارهم قسراً بالعمالة للولايات المتحدة وإسرائيل؟ وهل الولايات المتحدة مصنع للشهداء و المقاومين؟ هل يعلم خامنئي شيئاً، أي نزر ولو بسيطاً من تاريخ الشعب السوري المقاوم ضد الاستعمار والصهيونية وكل أشكال الهيمنة والاستغلال؟[٥].

ليس التحالف القائم بين نظامي الحكم في إيران وسورية حديثاً، ولم ينطلق أصلاً من منطلق من يتساءلون عن مصيره الآن، أي لم ينطلق ممّا يمكن صنعه لقضية فلسطين تحديداً، ولا ما ينبغي صنعه معاً لمواجهة الهيمنة الأجنبية.. بل لم يكن هذا التحالف - كما يتردّد أحياناً - نتيجة منبثقة عن انفراد الحكم القائم في سورية عربيًّا بالانحياز لإيران في الحرب بين العراق وإيران، في حقبة الصراع بين جناحي البعث الحاكمين في سورية والعراق آنذاك.

لقد بدأ التحالف الرسمي الثنائي على خلفية أخرى، وكانت بدايته (فور) قيام الثورة الإيرانية، وتزامنت مع الأحداث التي شهدتها سورية (١٩٧٩-١٩٨٢م) ومع عملية القمع غير المسبوقة للتيار الإسلامي بذريعة حمل أحد أجنحته السلاح في مواجهة الاستبداد والفساد.. مع ملاحظة أنّ استخدام السلاح آنذاك جاء ردًّا على ما مارسه الاستبداد والفساد في سورية، وعلى وجه التخصيص ما كانت (سرايا الدفاع) تمارسه، وهي ترتكب آنذاك شبيه ما ترتكبه اليوم (الفرقة الرابعة) الوريثة لها.

كانت أخبار القمع الدموي في سورية آنذاك تنتشر في كل مكان، وتستثير على وجه التخصيص التيار الإسلامي، وكان يُفترض أن إيران التي بدأت تتحدّث عمّا سمّي (تصدير الثورة ضد الاستبداد) أوّل من يبادر إلى تأييد الثائرين على الاستبداد في سورية. آنذاك كانت إيران تؤكّد ما سبق أن رفعته من شعارات إسلامية من خلال ثورتها، ولكنّها في احتفالات مرور العام الأول عليها، ودعوتها لممثلي الحركات والجماعات الإسلامية في كل مكان من العالم، اختارت (سورية) بالذات، وفي تلك الظروف الداخلية الدامية تحديدا، لتكون (ضيف الشرف) في تلك الاحتفالات.. وهذا من قبل أن تبدأ الحرب مع العراق، ومن قبل أن تتحوّل المخاوف في كثير من الدول الخليجية من (تصدير الثورة) إلى مستوى عداء مفتوح.

آنذاك بدأ التحالف الثنائي.. بين حكم (إسلامي) في دولة أسقطت ثورتها الاستبداد الفاسد.. وبين حكمٍ إن لم يوصف بالمعادي للإسلام فلا ريب في صحّة وصفه بأنه استبدادي غير إسلامي، ويوجّه ضرباته لكلّ ما هو إسلامي بذريعة البطش بمن أعلن (ثورة مسلّحة) تحت عنوان إسلامي![٦].

بينما كان يُنتظر من الثورة الإيرانية التي أسقطت آنذاك الاستبداد والفساد في عهد (الشاه) وتمرّدت على الهيمنة الأجنبية، أن تقف موقف رفض الاستبداد وفساده وممارساته القمعية في سورية.. كسواها، ولم تصنع ذلك.. بل تحالفت مع الحكم القائم.

إن الاعتراض المعروف على السياسات والممارسات الصادرة عن قوى الهيمنة الدولية، بما يشمل رفض (كيلها بمكيالين) لقضايا الإنسان وحقوقه وحرياته والقضايا العادلة كقضية فلسطين، يفقد مصداقيته ما لم يقترن برفض الكيل بمكيالين عبر سياسات وممارسات صادرة عن أي دولة عربية أو إسلامية، وهذا ما يسري على إيران وسواها، ولا سيما على صعيد التعامل مع الأنظمة الاستبدادية، كالنظام الحاكم في سورية، أي في الميدان الذي كان هو بالذات مسوّغ مشروعية قيام الثورة الإيرانية، ولا شكّ أنّها مشروعية تضمحلّ، عندما يتحوّل الحكم بعد الثورة إلى ممارسة ألوان من الاستبداد، الذي قامت الثورة بسببه، وهو مرفوض في كل مكان، وتحت أيّ عنوان، في مختلف الظروف وبمختلف الذرائع.. بل إنّ ممارسة الاستبداد تعطي المشروعية للثورة على نظام حكم مستبد.. وإن بدأت نشأته الأولى بثورة على الاستبداد أيضاً.

كان التحالف مع النظام الحاكم في سورية في أثناء أحداث الثمانينيات الميلادية سبباً في خسارة ثورة إيران قسطاً كبيراً من التعاطف (الشعبي) في أوساط المسلمين؛ لأنّها أسقطت الاستبداد والهيمنة، ويتكرّر ذلك الآن، وهي تتعاطف.. أو تدعم.. نظام الحكم القمعي القائم الآن في سورية، سيان كم يتوافر من التعاطف (الشعبي) مع السياسات التي تحمل عنوان (مواجهة الهيمنة ودعم المقاومة).

إنّ دعم القضايا العادلة، لا يعطي أحداً (صكًّا مفتوحاً) لدعم الاستبداد والفساد –ناهيك عن ممارستهما– وإنّ جريمة دعم الاستبداد والمستبدين محليًّا لا يهوّن من شأنها إطلاقًا رفضُ الاستبداد والمستبدين دوليًّا.

إن السلطة الحاكمة في إيران باسم الثورة، ابتعدت عن تمكين شعب إيران من صناعة قراره وفق إرادته المتحررة عبر الثورة، إلى درجة تكاد تعطي مسوّغ الثورة عليها، مثلما سبق أن كان الاستبداد هو مسوّغ الثورة على شاه إيران. وبغض النظر عن تأييد جوانب عدة من سياسات إيران الرسمية تجاه قوى الهيمنة الدولية ابتعدت إيران أيضاً عن ممارسة سياسات إقليمية تعبّر عن الشعارات التي قامت الثورة عليها[٧].

الهوامش:

(١) أحمد الظرافي، أخطبوط التشيع في سورية .. أبعاد التحالف الإيراني السوري، موقع البينة، ٣١-٧-٢٠٠٩م.

(٢) عملية التشيع في سورية ١٩٨٥م-٢٠٠٦م، دراسة اجتماعية- إحصائية.

(٣) البعث الشيعي في سورية .. مقدمات منهجية.

(٤) أحمد حرب علي، التشيّع في سوريا: مشروع ديني بأجندة سياسية، مدونته على الإنترنت، ٣١ مارس ٢٠١٠م.

(٥) ناصر المنصور الدرعاوي، صحيفة السوسنة الأردنية، ١٩-٧-٢٠٠١م.

(٦) نبيل شبيب، إيران .. والتحالف مع الاستبداد في سورية، ٢٠١١/١٢/١٧م.

(٧) المرجع السابق.

الفصل الثاني عشر

التشيع في الأردن.. مواجهة نشطة

الفصل الثاني عشر

التشيع في الأردن.. مواجهة نشطة

على الرغم من أن الأردن من الدول العربية التي للقبائل فيها شأن، وعلى الرغم من أنها دولة تعتز بسنيتها، إلا أن التقارير والتصريحات الرسمية المتعددة تؤكد وجود ظاهرة محدودة من التشيع في الأردن في السنوات الأخيرة في مناطق مختلفة، من خلال وجود عشرات الآلاف من الشيعة العراقيين المقيمين في الأردن، ويتحدث بعض المسؤولين الأردنيين عن (خلايا شيعية نائمة) في عمان، يتوازى ذلك مع إعجاب شرائح اجتماعية واسعة بأداء (حزب الله) في حرب عام ٢٠٠٦م، وكفاءة حسن نصر الله أمينه العام، الذي أصبح بمنزلة بطل شعبي في الشارع العربي، والأردني بالتحديد.

لكن قبل دراسة ظاهرة (التشيع) في الأردن، ينبغي الوقوف عند وجود عشائر أردنية شيعية، في الأصل منذ بدايات تأسيس المملكة، بل تعود جذور بعضها إلى عام ١٨٩٠م، وأصل هذه العشائر من جنوب لبنان، وتحمل الجنسية الأردنية أباً عن جد، مثلها مثل باقي العشائر الأخرى[1].

وتتحدث مصادر من شيعة الأردن عن تعداد الشيعة الأردنيين، فتقول: إن تعدداهم يبلغ قرابة ثلاثة آلاف شخص، وهو الرقم الذي لا توجد إحصائية دقيقة تنفيه أو تثبته. وتقطن العشائر الشيعية الأردنية في مناطق رئيسة عدة: الرمثا، ودير أبو سعيد، وإربد، وعمان، وأبرزها عائلات بيضون، سعد، دياجة، فردوس، جمعة، الشرارة، حرب، برجاوي، البزة. ولا تحتفظ هذه العشائر بأي عادات أو تقاليد خاصة، مخالفة للتقاليد الأردنية، وتندمج في المجتمع الأردني بشكل كامل، وتشاركه في مختلف المناسبات، وإن كان بعضها يحتفل رمزيًّا بالمناسبات الدينية الشيعية.

في منتصف التسعينيات برزت علاقة بين شخصيات من هذه العشائر وبين مؤسسة الخوئي في لندن، بمباركة من الأمير الحسن، وقد كان حريصًا على حوار المذاهب والطوائف المختلفة، وكان ثمة تفكير في تأسيس مؤسسة خاصة بهم تحت اسم (أبو ذر الغفاري) إلا أن الدولة عادت وتراجعت عن دعم الفكرة فيما بعد.

مصادر رسمية تقر بوجود عشائر أردنية شيعية، وتؤكد حقوق أفرادها في المواطنة الكاملة، وعلاقتها الجيدة بالدولة، ومع ذلك لا تخفي وجود علامة استفهام حول ولاء الشيعة الأردنيين وارتباطهم بالمؤسسات الدينية الشيعية، خارج الأردن، وعلاقة بعض الأفراد بـ(حزب الله).

وعلى الرغم من أن هناك اتفاقاً بين مختلف الأطراف الرسمية والقريبة من الشيعة على أنّ ظاهرة التشيع محدودة، لكنّها فاعلة في السنوات الأخيرة، واعتنق المذهب الشيعي مئات الأشخاص، سواء رجال أو نساء أو عائلات.

معلومات رسمية، يؤكدها بعض المتشيعين، أنّ هناك قرابة الثلاثين عائلة في مخيم البقعة تشيّعت في الآونة الأخيرة، وأن هناك ظاهرة محدودة للتشيع في مدينة السلط، إضافة إلى عائلة أو أكثر في مخيم مادبا وحالات في إربد والزرقاء وجرش والكرك، والانتشار الأبرز للظاهرة في عمان في ضواحٍ مختلفة منها.

وقد ازدهرت ظاهرة التشيع بعد احتلال بغداد، ونزوح مئات الآلاف من العراقيين إلى الأردن.

ينشط الشيعة العراقيون بإقامة احتفالاتهم الدينية وإحياء المناسبات الشيعية، وقد حوّل عدد منهم منازلهم إلى حسينيات، يجتمعون فيها ويحضرها متشيعون أردنيون ويقرؤون فيها سيرة الحسين وينشدون الأناشيد الدينية، إحدى هذه الحسينيات المعروفة كانت في جبل الجوفة، قبل أن تعتقل الأجهزة الرسمية إمام هذه الحسينية، وتقوم باستجوابه ثم ترحيله.

تذكر تقارير أخرى وجود مكتبة وسط عمان، تبيع كتب الشيعة، ككتاب (المراجعات)، وهو من أكثر الكتب التي تدعو إلى التشيع، رواجاً. في حين تذكر تقارير إعلامية أن عراقيين شيعة يسكنون الأحياء الفقيرة في عمان (المحطة، الهاشمي الشمالي) يحيون المناسبات الدينية الشيعية في منازلهم، ويتأثر بهم أصدقاؤهم من الأردنيين.

وتحولت بعض المطاعم الشعبية العراقية في وسط العاصمة عمان إلى ملتقيات للشيعة العراقيين، وأصبحت تحفل، بصيغة غير مباشرة، بكثير من مظاهر التشيع.

وقد ارتفعت وتيرة الجدل حول تشيع السيد حسن السقاف، وهو أحد أبرز شيوخ (الأشاعرة)، وأصبح يشغل موقعاً أكاديميًّا مرموقاً، وكررت مصادر متعددة دعوى تأثره بالمذهب الجعفري الشيعي، وتبنيه شيئاً من عقيدة الشيعة، بخاصة الموقف من آل البيت ومن الصحابة الكرام، وتبني أقوال في قضية جدلية خلافية بين الفرق الإسلامية متعلقة بـ (تنزيه الله عز وجل)، ومسألة النظر إليه يوم القيامة، مخالفاً الأشاعرة. ولم يمضِ تحول السقاف، ودعوته وتصوراته دون جدل عنيف في أوساط الأشاعرة، وقد تولى الرد عليه أبرز الناشطين الأشاعرة، وهو سعيد فودة، في كتب ومساجلات فكرية ومعرفية عدة على موقع كل منهما على شبكة الإنترنت.

يرد السقاف بالنفي القاطع على مزاعم تشيعه، على الرغم من أنه يؤكد أنه يعطي نفسه حق الاجتهاد والنظر في قضايا العقيدة والفقه، قائلاً: (أنا عالم حرّ لست مقلّداً متمسكاً بالمذهب الشافعي، وأعتقد أنني وصلت إلى مرحلة يحق لي فيها الاجتهاد بالنظر في أدلة الكتاب والسنة).

وعن السبب في ازدياد الحديث عن تشيعه واعتناقه العقيدة الإمامية الجعفرية يُرجِع ذلك إلى دعاية السلفيين الذين دخل معهم في عراك فكري ومعرفي كبير، وقام بنقد ابن تيمية والألباني، فهم يحاولون إلصاق هذه التهمة به سعياً لتوريطه في كثير من المشكلات والأزمات الأمنية والفكرية، ولا يتوانى السلفيون، كما يذكر السقاف، عن تأليب المؤسسة الرسمية عليه والحشد ضده.

في المدة الأخيرة نشطت الأجهزة الرسمية في متابعة الشيعة العراقيين ورصد ظاهرة التشيع، وقامت بعدة مداهمات واعتقالات واستجوابات في

صفوف الشيعة العراقيين والمتشيعين الأردنيين، ووضعت الظاهرة تحت المجهر، ما دفع الشيعة والمتشيعين إلى حالة من الحذر الشديد في أنشطتهم، والاعتماد على مبدأ (التقية) - عدم الإعلان عن عقيدتهم والتنكر لتشيعهم- في كثير من الأحيان، ما صعّب من مهمة هذا التحقيق.

ويرى بعض المسؤولين أن ظاهرة التشيع، وإن كانت محدودة، إلا أنها مقلقة بحد ذاتها، فمن المعروف أن الأردن دولة سنية، لا يوجد فيها مشكلة طائفية أو مذهبية في الأصل، والتشيع الحالي وافد وجديد، ويدفع إلى التساؤل عن أهدافه وأبعاده ومراميه، فمن واجب المؤسسة الأمنية أن تقلق، وأن تدرس الظاهرة، بخاصة أنها في انتشار، ربما تشكل حاليًا بضع مئات، لكن إذا أصبحت مستقبلاً بالآلاف سيصعب التعامل معها، والحد منها، فالأولى متابعتها ومحاصرتها من الآن.

لا تزال الإستراتيجية الأمنية في التعامل مع الشيعة والمتشيعين تنطلق من المنظور الأمني المحض، بعيداً عن الأضواء، وإن كانت الجهود الأمنية شهدت طفرة حقيقية في المدة الأخيرة. وينفي بعض المسؤولين الأمنيين أن تفكر المؤسسة الرسمية في اللجوء إلى الحركة السلفية لمواجهة التشيع والحد منه، على الرغم من أن جماعات وحركات دينية عدة عرضت القيام بهذا الدور، إلا إن المؤسسة الرسمية تفضل التعامل مع الظاهرة من خلال بناء قاعدة معلومات صلبة حول الشيعة العراقيين الناشطين في عمان، خاصة أن هناك تقارير أمنية مؤكدة تشير إلى انتماءات خطيرة لعدد منهم وارتباط وثيق بإيران، وأجهزتها الأمنية والعسكرية. وتؤكد مصادر أمنية أن من تثبت له علاقة بنشاط تبشيري شيعي يرحّل على الفور، وهو ما حدث بالفعل مع عدد

من العراقيين، أما المتشيعون الأردنيون فيخضعون للتحقيق وتتم مراقبتهم للتأكد من عدم قيامهم بأنشطة تدعو للمذهب الشيعي. وذكر بعض أصحاب المكتبات وسط عمان أنّ الأجهزة الأمنية قامت بتفتيش المكتبات في الآونة الأخيرة بحثًا عن الكتب التي تناصر التشيع أو تدعو له.

وتذكر معلومات أمنية أن عددًا من العلماء والمراجع الشيعة موجودون في الأردن، وأن لهم دوراً في نمو حركة التشيع في أوساط أردنية، أحد هؤلاء يقطن في حي الهاشمي الشمالي، وكان يقيم الدروس في بيته. يذكر مسؤول أن أحد الشيعة العراقيين كان قد قدم من دمشق، وقد حاول أن يؤسس قاعدة له من الشيعة، وكانت هناك معلومات مؤكدة حوله وعلى الفور تمّ إبعاده.

أحد مصادر التشيع في الأردن هي القنوات الفضائية الشيعية، التي انطلقت بعد احتلال العراق، وقاربت العشرين فضائية، تبث المواعظ والروايات الشيعية، وتؤثر في الرأي العام. ومن أبرز هذه الفضائيات الفيحاء والأنوار. ومن القنوات التي أثرت في الرأي العام الأردني، في السنوات الأخيرة، قناة المنار التابعة لـ(حزب الله)، وعلى الرغم من أن كثيرًا من الناس يتابعونها حرصاً على التواصل مع رواية (حزب الله) للمواجهات والصراع مع إسرائيل، إلا أن القناة لا تخلو من توجهات مبنية على الرؤى الشيعية.

ومن مصادر التشيع في الأردن الطلاب الشيعة الوافدون من الخليج العربي، من السعودية والبحرين والإمارات وعُمان، وعلى الرغم من أن علماءهم يحذرونهم من الجهر بعقائدهم، إلا أنهم في كثير من الأحيان يمارسون أسلوب الدعوة الفردية، ويؤثرون في أصدقائهم والمقربين منهم.

الهوامش:

(١) مادة هذا الفصل مستقاة من مقال: محمد أبو رمان، التشيع في الأردن، صحيفة الغد الأردنية، ٤-٥/١٠/٢٠٠٦م.

الفصل الثالث عشر

التشيع في مصر.. الحلم القديم المتجدد

الفصل الثالث عشر

التشيع في مصر.. الحلم القديم المتجدد

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن مخططات لنشر التشيع في مصر بشكل واسع؛ وذلك إثر الغزو الأمريكي للعراق وهجرة عدد كبير من العراقيين إلى الخارج وتوجه بعضهم إلى مصر، حيث تركز غالبيتهم في مدينة ٦ أكتوبر حتى قيل: إنها أصبحت مستعمرة للشيعة العراقيين، وإنهم بصدد بناء حسينيات فيها، وتواردت أنباء حول أنشطة شيعية لهم وسط المواطنين المصريين السنة.

وهناك أيضاً زحف لعدد من قيادات الشيعة في عدد من المحافظات بالوجه البحري تم الكشف عنها أخيراً ومنها مدينة أبو حماد في الشرقية.

ورفضت مشيخة الأزهر المصرية طلب شركات السياحة الإيرانية استقدام آلاف من السياح الإيرانيين لزيارة المساجد والقبور وبعض الأماكن ذات القداسة لدى الشيعة مثل الأزهر الذي بني في عهد الحكم الفاطمي لمصر منذ أكثر من ١٠٠٠ عام. وأكد رجال الأزهر في رفضهم للطلب الإيراني أن

الشيعة يمارسون طقوساً وشعائر بدعية تضر بالجو الديني للمساجد، وأن وجود الشيعة المتشددين في المساجد والأماكن التي يعتقدون قدسيتها سينتج عنه أضرار لا تحمد عقباها، خاصة في حالة احتكاك بعض الشيعة في أثناء زيارتهم بالمصريين المعروفين بحبهم للسنة، ويعتقد قادة الأزهر أيضًا أن زيارة الشيعة الإيرانيين تضر بمصر أمنيًّا؛ نظراً لأن بعض الشيعة المتشددين قد أضروا في السابق بأمن بعض البلدان التي زاروها.

يعود الوجود الشيعي في مصر لأول مرة إلى الدولة الفاطمية العبيدية، التي حكمت مصر منذ سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) إلى سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م)، وقد استطاع صلاح الدين رحمه الله أن يقضي على العبيديين، وأن يعيد مصر كما كانت إلى مذهب أهل السنة والجماعة، لكن الشيعة بقيت أنظارهم متجهة نحو مصر؛ لما لها من ثقل وأهمية، ساعين إلى إعادة بناء دولتهم فيها.

وعلى الرغم من أنّ مصر ظلت متمسكة بمذهب أهل السنة، إلا أن الشيعة استفادوا خلال القرن المنصرم من مجموعة من العوامل ساعدتهم على نشر مذهبهم وأفكارهم، واستقطاب بعض المواطنين المصريين واختراق بعض الهيئات الرسمية والشعبية، وأهم هذه العوامل:

(١) وجود بعض المقامات والأضرحة المنسوبة لآل البيت في مصر، كالحسين والسيدة زينب ونفيسة ورقية، وهو الأمر الذي استغله الشيعة بسبب توجه المصريين نحوها، وإحيائهم للمناسبات، واستغل الشيعة حبّ المصريين لآل بيت النبي ﷺ حيث أظهروا أنفسهم بمظهر المدافع عن آل البيت، المتبع لطريقتهم[1].

(٢) تساهل الأزهر في موضوع الشيعة الذي نتج عنه دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسست سنة ١٩٤٧م في حي الزمالك في القاهرة، وقد ساهم في تأسيسها عدد من شيوخ الأزهر مثل محمود شلتوت وعبدالمجيد سليم ومصطفى عبدالرازق، وغيرهم، وعدد من علماء الشيعة مثل محمد تقي القمي -الذي كان أميناً عامًّا للدار- وعبدالحسين شرف الدين ومحمد حسن بروجردي.

وبداعي التقريب، وفي ظل غفلة أهل السنة الذين أنشؤوا الدار ودعموها، تحولت هذه الدار إلى مركز لنشر الفكر الشيعي. ومع هذا فدار التقريب بالقاهرة وليست في موطن من مواطن الشيعة ومجلة رسالة الإسلام التي تصدر عن الدار، وما تتناول من موضوعات تهدف إلى إقناع أهل السنة ببعض ما يعتنقه الشيعة أشبه بمحاولة لتشييع السنة[٢].

(٣) الطلاب الشيعة العرب في مصر، حيث كان يؤم مصر أعداد كبيرة من الطلاب العرب، ومن بينهم الشيعة، وخاصة من دول الخليج، وكانوا يعملون على نشر فكرهم في صفوف المصريين، وقد أشار الكاتب المصري المتشيع صالح الورداني إلى ذلك بقوله: (بعد خروجي من المعتقل في منتصف الثمانينيات احتككت بكمّ من الشباب العراقي المقيم في مصر من المعارضة وغيرهم، وكذلك الشباب البحريني الذين كانوا يدرسون في مصر، فبدأت التعرف على فكر الشيعة وأطروحة التشيع من خلال مراجع وكتب هم وفّروها لي، ومن خلال الإجابة عن كثير من تساؤلاتي وقد دارت بيننا نقاشات كثيرة)[٣].

وفي المرات الكثيرة التي كان يتم إلقاء القبض على تنظيمات شيعية، كان يلقى القبض أيضاً على طلاب شيعة من الخليجيين.

(٤) علاقات النسب التي كانت تربط الأسرتين المالكتين في إيران ومصر، فشاه إيران محمد رضا بهلوي كان متزوجًا من إحدى أميرات مصر. وكما إن الرئيس المصري أنور السادات كان مرتبطًا بعلاقة سياسية وشخصية مع شاه إيران، واستقبله في مصر بعد فقدانه عرش بلاده، وحال دون تسليمه إلى إيران الثورة. وفي ظل هذه الأجواء، نشأت بعض الجمعيات والهيئات الشيعية، ومارست نشاطها دون مضايقات تذكر، مثل جمعية آل البيت التي أسست سنة ١٩٧٣م في أثناء عهد السادات، إضافة إلى السماح لطوائف أخرى بالعمل كالبهرة التي كان السادات يحرص على استقبال زعيمها سنويًّا[٤].

(٥) معرض القاهرة للكتاب، وقد شكل المعرض منفذاً شيعيًّا مهمًّا، إذ تم ويتم من خلاله نشر الكثير من الكتب الشيعية، خاصة تلك التي تحضرها دور النشر اللبنانية، ومن أهم الكتب التي كان يتم تداولها: المراجعات لعبدالحسين شرف الدين، والشيعة وأصولها لمحمد حسين كاشف الغطاء، والبيان في تفسير القرآن للخوئي، والميزان في تفسير القرآن للطبطبائي[٥].

(٦) صدور عدد من الصحف باللغة الفارسية في القاهرة والإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر، بلغ عددها خمس صحف هي حكمت، ثريا، برورش، جهره نما، كمال. وكانت إحدى هذه الصحف وهي ثريا تصدر بمؤازرة أحد دعاة فرقة البهائية، وهو ميرزا أبو الفضل الكلبايكاني، ثم ما لبثت هذه الصحف أن توقفت بسبب مشكلاتها الداخلية وقيامها على جهود فردية، وقلة عدد الإيرانيين المقيمين في مصر[٦].

وللشيعة في مصر وجود من خلال عدد من المجالس والهيئات الآتية:

(١) المجلس الأعلى لرعاية آل البيت: يرأسه المتشيع محمد الدريني، ويصدر صحيفة (صوت آل البيت)، ويطالب بتحويل الأزهر إلى جامعة شيعية، ويكثر من إصدار البيانات، وهو الصوت الأعلى من بين الهيئات الشيعية.

(٢) المجلس العالمي لرعاية آل البيت.

(٣) جمعية آل البيت: أُسست سنة ١٩٧٣م، وكانت تُعدّ مركز الشيعة في مصر، واستند عملها إلى فتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد على المذهب الشيعي، وكان للجمعية مقر في شارع الجلاء في القاهرة، وكانت تمول من إيران، ومن شيعة مصر من أموال الخمس، وكان يتبع الجمعية فروع في أنحاء كثيرة من قرى مصر تسمى حسينيات، كان هدفها نشر الفكر الشيعي، وتنظيم التعازي والمناسبات الشيعية.

وقد اتسمت علاقة الحكومة المصرية بالمتشيعين بكثير من التوتر لأسباب كثيرة منها:

(١) أن الشيعة يعملون ضمن تنظيم سري، ويرتبطون بأحزاب وجهات خارجية تعمل على تمويل أنشطتهم وتدريب بعض أنصارهم.

(٢) علاقات الريبة والتوتر التي تميز علاقات مصر بإيران عمومًا، حيث تنظر الحكومة إلى هؤلاء المتشيعين بأنهم أتباع لإيران.

(٣) اصطدام أفكار الشيعة ومطالباتهم بعقائد الأغلبية السنيّة في المجتمع المصري، خاصة مع الجهر بها، كالمطالبة بتحويل الأزهر إلى جامعة شيعية.

وقد وجّهت السلطات المصرية إلى الشيعة في مصر ضربات متعددة:

الأولى: بعد قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، في زمن الرئيس السادات الذي أخذ منها موقفاً عدائيًّا، حيث تم حل جمعية أهل البيت ومصادرة ممتلكاتها، وإصدار شيخ الأزهر عبدالرحمن بيصار فتوى تبطل الفتوى التي أصدرها شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري[٧].

الثانية: أعوام ١٩٨٧م، ١٩٨٨م، ١٩٨٩م: رُصِد عام ١٩٨٧م تنظيم يضم العشرات من المتشيعين، ومحاولات لاختراق أسر وعائلات كاملة في وسط الدلتا، وبصفة خاصة محافظة الشرقية، وقد تبين للسلطات الأمنية أن الشيعة، وخاصة الحركيين منهم كانوا على علاقة بالمؤسسة الدينية في طهران وقم، وحصلوا على تمويل لإدارة أنشطتهم في مصر، ورصدت السلطات وجود التمويل، حيث عثرت على ما يفيد حصول أعضاء التنظيم على مئة ألف جنيه.

وسنة ١٩٨٨م، تم القبض على ٤ عراقيين من المقيمين في مصر واثنين من الكويتيين، وثلاثة طلاب من البحرين، ولبنانيين، وفلسطيني، وباكستاني، وتم إغلاق دار النشر المصرية الشيعية (البداية)، ووجهت إليها تهمة تلقي تمويل من إيران، وكذلك دار النشر الشيعية اللبنانية (البلاغة).

وفي العام نفسه تم ترحيل القائم بالأعمال الإيراني محمود مهدي بتهمة التجسس والاتصال مع شخصيات شيعية مصرية والترويج للفكر الشيعي.

وسنة ١٩٨٩م، قبض على تنظيم من ٥٢ فرداً، بينهم ٤ خليجيين وإيراني.

الثالثة: سنة ١٩٩٦م، وتزامنت مع تردي العلاقات المصرية الإيرانية، حيث تم الكشف عن تنظيم يضم ٥٥ عضواً في ٥ محافظات، وضم أغلب المتهمين في القضايا السابقة، إضافة إلى حسن شحاتة.

وقد تزامنت هذه الحملة مع محاولات إيرانية لتأسيس مؤسسة إعلامية في أوربا برأسمال مليار دولار كان مرشحاً لإدارتها صحفي مصري معروف بميول ماركسية سابقة، قبل أن يتحول إلى أحد رموز المعارضة الدينية.

وقد أكدت المعلومات المتاحة عن هذا التنظيم أن المؤسسات الدينية الإيرانية التي يقف وراءها المرشد الإيراني علي خامنئي هي التي رسمت خطة لاختراق مصر من خلال الحسينيات الشيعية، وأن محمد تقي المدرسي، الموجود في قم، هو الذي أشرف على تطبيق هذه الخطة من خلال الاتصال ببعض المصريين المتشيعين، وإذا علمنا أن تقي المدرسي هو نفسه الذي أدى دوراً مهماً في تأليب المعارضة الشيعية في البحرين، نكتشف أن مخطط الاختراق بدأ في الخليج، ووصل إلى مصر، لكن مع اختلاف أسلوب الاختراق.

وقد تمت بعض عمليات تجنيد المتشيعين، خارج مصر، كإيران والبحرين والكويت وأوروبا...، ويتم التجنيد عادة في أثناء زيارات يقوم بها البعض إلى إيران، أو خلال الندوات والمؤتمرات الدينية التي يحرص شيعة إيران على الوجود فيها واصطياد المصريين الذين لديهم استعدادات فكرية أو نفسية للارتباط بالمذهب الشيعي وإيران، وإن أحد هؤلاء وهو صالح الورداني كان أحد المتطرفين في تنظيم الجهاد (السني) قبل أن يسافر إلى الكويت، ويقضي فيها خمسة أعوام، عاد بعدها ليروج للفكر الشيعي عبر سلسلة كتب، صادرتها السلطات الأمنية.

وفيما يتعلق بأعضاء هذا التنظيم الـ ٥٥، فقد سعوا إلى مد نشاطهم في خمس محافظات مصرية، وسعوا إلى تكوين خلايا شيعية سرية تحت اسم (الحسينيات) جمعها مستوى قيادي باسم (المجلس الشيعي الأعلى لقيادة الحركة الشيعية في مصر)، وقد تبين أن التنظيم برمته موالٍ لإيران، وثبت أن ثمانية من الأعضاء النشيطين، زاروا إيران في المدة التي سبقت حملة عام ١٩٩٦م، وإن عدداً آخر تردد على بعض الدول العربية من بينها البحرين، والتقوا هناك مع قيادات شيعية إيرانية وعربية بوصفها تمثل المرجعية المذهبية الشيعية. وقد نجحت الجهات الأمنية في مصر في اختراق التنظيم والحصول على معلومات من داخله حول البناء التنظيمي، وأساليب التجنيد، والتمويل ومخططات التحرك، وحين ألقي القبض على عناصره، تم العثور على مبالغ مالية كبيرة ومطبوعات وأشرطة كاسيت وديسكات كمبيوتر مبرمج عليها خططهم، وأوراق تثبت تورطهم في علاقة مع إيران. وقد تبين أن حسن شحاتة إمام مسجد الرحمن، على علاقة بالتنظيم.

الرابعة: في نوفمبر سنة ٢٠٠٢م: حيث تم القبض على تنظيم بزعامة محمد يوسف إبراهيم، ويعمل مدرساً في محافظة الشرقية، ويحيى يوسف، إضافة إلى صاحب مطبعة، اتهموا بالترويج لتنظيم شيعي يسعى لقلب نظام الحكم، وكان ذلك بقرية (المنى صافور) التابعة لمركز ديرب نجم، وقد تم الإفراج عنهم بعد أقل من أسبوعين من اعتقالهم[٨].

وللشيعة المصريين مطالب أهمها:

- إنشاء مركز يحمل اسم الشيعة يحتوي مكتبة شيعية.
- الاعتراف الرسمي بمذهبهم، وحريتهم في ممارسة طقوسهم، والسماح لهم بإنشاء مساجد خاصة بهم وإقامة الحسينيات والسماح

لهم بإلقاء المحاضرات السياسية والدينية، وطباعة ونشر الكتب الشيعية التي تدعو السنة لاعتناق المذهب الشيعي.

- إعادة افتتاح جمعية أهل البيت، التي تم إغلاقها سنة ١٩٧٩م.
- تأسيس مجلس أعلى لرعاية شؤونهم باسم (المجلس الشيعي الأعلى في مصر) شبيه بالمجلس الموجود في لبنان، ومحاولة إشهار فرع لرابطة أهل البيت الشيعية اللندنية في القاهرة.
- تحويل الأزهر إلى جامعة شيعية، وهم دائمو الهجوم عليه وعلى قياداته ومناهجه، وعلى الرغم من أن الأزهر يتساهل كثيرًا مع المذهب الشيعي، من حيث اعتباره مذهباً إسلامياً خامساً كالمذاهب السنية يجوز التعبد به، ومن حيث تدريس المذهب الإمامي الجعفري، وإدراجه في مناهجه الدراسية، والسماح للكثير من الكتب والمطبوعات الشيعية المخالفة للإسلام بالصدور والدخول إلى مصر، وإصدار فتاوى موافقة لمذهبهم ومخالفة للمذاهب الأربعة، وعلى الرغم من ذلك كله دأب المتشيعون على الانتقاص من الأزهر، والمطالبة الدائمة بتحويله إلى هيئة شيعية بحجة أن الفاطميين الشيعة هم الذين بنوه في أثناء احتلالهم لمصر.

وقد أدت العلاقات المصرية الإيرانية دوراً كبيراً في التأثير في شيعة مصر أو المتشيعين في مصر، ويمكن تقسيم هذه العلاقات وتأثيراتها إلى مرحلتين:

الأولى: قبل قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، وقد سبق القول: إن الرئيس المصري السابق أنور السادات كان يحتفظ بعلاقات قوية مع شاه إيران، وذلك

ترتب عليه إنشاء جمعية آل البيت سنة ١٩٧٣م، وغض الطرف عن الأنشطة الشيعية، أما في زمن الرئيس عبدالناصر، فقد كانت علاقاته مع الشاه في مجملها متوترة، حيث دعم جمال عبدالناصر الخميني في صراعه مع الشاه. وفي عهد النظام الملكي في مصر قبل الثورة سنة ١٩٥٢م، كانت العلاقات حميمة بين مصر وإيران.

الثانية: بعد قيام الثورة الإيرانية، تأزمت العلاقات بسبب استضافة السادات لشاه إيران في مصر، ورفض تسليمه إلى حكومة إيران الجديدة، ونتج عن تردي العلاقات إلغاء فتوى شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت بجواز التعبد على المذهب الجعفري (الاثنا عشري)، وحل جمعية آل البيت، وملاحقة الشيعة والتضييق على أنشطتهم، ومنع دخول الكتب الشيعية إلى البلاد.

لكن هذا الوضع المتأزم ليس هو السمة المطلقة لمرحلة ما بعد الثورة، إذ إن هذه المدة المتوترة في مجملها كانت تشهد الكثير من أوقات التقارب والتساهل، ومن ذلك الانفتاح المصري على الهيئات الشيعية مثل مؤسسة الخوئي في لندن والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، واستضافة مؤتمرات للتقريب بين السنة والشيعة[٩] والتعاون الأزهري الإيراني في تحقيق المخطوطات ودعم المكتبات الموجودة في البلدين[١٠]، والسماح للشيعة بإنشاء هيئات ومؤسسات، مثل المجلس الأعلى لرعاية آل البيت وإعادة افتتاح جمعية آل البيت والتوسع في تدريس اللغة الفارسية في الجامعات المصرية، والعودة إلى فتوى الشيخ شلتوت التي تقول: (إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب (الاثنا عشرية)، مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير حق لمذاهب معينة..).

لكن ينبغي أن نسجل هنا أن مصر طوال تاريخها متسامحة ومعتدلة، ولم تتبع أي تشيع؛ لأن الفكرة الشيعية غير صحيحة في جوهرها.. والزيدية و(الاثنا عشرية) جاء منشأهما نتيجة لي النصوص. ومصر لها دور حضاري وتاريخي، أما التشيع فتاريخه سيئ، وكان الشيعة دائماً يتحالفون مع أعداء الأمة، و(حزب الله) اللبناني حاول خلال السنوات الماضية غسل هذه المسألة بمواقفه ضد الصهاينة، لكنه في المسألة العراقية لم يكن موفقاً، وكان طرحه مغايرًا لمواقف الأمة، وقد سحب هذا من رصيده كثيراً.

إننا مع (حزب الله) ضد أمريكا ومع الثورة الإيرانية ضد أمريكا .. لكن مصالحنا الإسلامية والقومية أكبر من هذا وذاك. وقد كان موقف مصر من العدوان الأمريكي على أفغانستان أفضل من الجارة إيران، فولاؤنا أولاً يجب أن يتحدد وفقاً لمصالح الأمة الإسلامية، وموقفنا يجب أن يتحدد وفق تحديات العالم الإسلامي.

كل الظروف التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية، بل النفسية تؤكد أن النفسية والذهنية المصرية العامة التي لفظت التشيع في الماضي لا يمكن أن تتقبله مرة أخرى.

إننا لكي نجلي هذا الموضوع فسوف نتوقف ثلاث وقفات: مع طبيعة مصر السنية، ومع قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، ثم مع حقيقة موقف (حزب الله) في جنوب لبنان فيما سمي انتصاراً لم تحققه الجيوش العربية على إسرائيل.

بالنسبة إلى النقطة الأولى، وهي طبيعة مصر السنية، فإن مصر منذ أن فتحها عمرو بن العاص، وهي سنية فكراً وحركة. وما حدث في العهد

الفاطمي - حتى إن استمر مئتي سنة - فقد كان طارئاً غير ذي أساس، والصبغة الشيعية التي حدثت للمجتمع المصري كانت صبغة للدولة السياسية فقط بما فيها من قادة وقضاة وشيوخ لهم علاقة بالسلطة، ولذلك فحينما جاء صلاح الدين الأيوبي أعاد الأمر لوضعه الطبيعي، وأعاد لمصر هويتها السنية. وصلاح الدين لم يحارب الوجود الشيعي، ويرتكب المذابح ضده ويبيد القرى والمدن الشيعية - كما يزعم الشيعة - وإنما كل جهد صلاح الدين كان جهداً ثقافيًّا بحتاً، وليس جهداً عسكريًّا أو استئصاليًّا، وإلا لحدث رد فعل ومقاومة من الفكر الشيعي والمؤمنين به، ولبقي لهذا الفكر بريق إلى يومنا هذا. ولكن أن ينسى الفكر الشيعي تماماً، ويصبح كأن لم يكن فهذا يدل على أنه كان طارئاً وغير متناغم من النفسية والشخصية المصرية.

ومصر دائماً هي قائدة العالم السني فكراً وحركة: فعلى مستوى الحركة، فهي التي قادت العالم الإسلامي في حطين وعين جالوت ضد الصليبين والمغول، وهي التي قادته في العصر الحديث وحتى وقتنا الراهن.

وعلى المستوى الفكري كان الأزهر هو مدرسة الفكر السني التي أضاءت العالم الإسلامي. ولا يمكن في هذا السياق أن ننسى ريادة جمال الدين الأفغاني - الأفغاني الذي انطلق من مصر - ومعه محمد عبده، وبعدهما رشيد رضا - الشامي الذي انطلق من مصر أيضاً - في قيادة الفكر السني للتحرر من التبعية والاستعمار، وفي الانطلاق للانعتاق من حالة الجمود والتخلف.

أما النقطة الثانية فقد رفعت الثورة الإيرانية الشعارات الإسلامية الجامعة وغير المذهبية لتجذب إليها الشباب السني، ولكن مع مرور الوقت

انكشف القناع وظهر الوجه المذهبي، وكان لسقوط نظام صدام حسن العامل الأكبر في كشف الطائفية والمذهبية الإيرانية، هذا كله أذهب الوهج والانبهار بالثورة الإيرانية ودعايتها السياسية، وحل محله حالة من الاستياء الشديد لمجمل السياسات الإيرانية، وسياسات الشيعة في العراق، من تحالف مع الاحتلال الأمريكي ضد سنة العراق.

أما النقطة الثالثة التي نتوقف أمامها فهي الانبهار بحالة «حزب الله» اللبناني وموقفه ضد إسرائيل، ونحن لا نشكك في هذا الدور، وإنما نثمنه، ونثني عليه، وهو موقف أكسب (حزب الله) شعبية كبيرة في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولكنه يخسر الآن هذه الشعبية بسبب تأييده المطلق للموقف الإيراني ولموقف شيعة العراق ضد السنة وتوافقه مع المشروع الأمريكي وتغطيته للاحتلال الأمريكي. هذا الموقف أكد أن (حزب الله) يتحرك من منظور طائفي ومذهبي ضيق وأنه يتحرك في إطار المشروع الشيعي العام في المنطقة بقيادة إيران.

هذه النقاط الثلاث توضح أنه لا يمكن أن يكون للفكر الشيعي أي عمق أو وجود ذي قيمة داخل المجتمع المصري.

الشيعة المصريون بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م:

بعد نجاح ثورة يناير، وبعد تأسيس الأحزاب المتنوعة، تقدم الدكتور أحمد راسم النفيس بأوراق تأسيس حزب (التحرير) إلى لجنة الأحزاب حاملًا توكيلات من ليبراليين وأقباط وشيوعيين، وقبلهم صوفيون، في محاولة لتدشين حزب شيعي مصري.

وأثار مشروع الحزب أسئلة كثيرة لدى الكُتاب والسياسيين حول هويته ودوره في نشر التشيّع وإشعال الصراع المذهبي بين السنة والشيعة في مناخ محتقن أصلاً بالفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، والأهم من هذا كله أن الحزب مخالف للدستور بوصفه حزباً دينيًّا، وهو ما يؤدي إلى الطعن عليه ورفض إشهاره قبل الترخيص له بممارسة النشاط السياسي.

وإذا كان يحق، من حيث المبدأ، لأي جماعة أو أفراد إنشاء حزب سياسي يعبر عن أفكارهم وبرامجهم للإصلاح الشامل في المجتمع وتحقيق الديمقراطية، لكن إنشاء حزب سياسي على أساس ديني أو طائفي معناه تجدد الصراع التاريخي بين السنة والشيعة، فالمسألة يجب ألا تترك هكذا؛ لأن المناخ في مصر محتقن أصلًا بالفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، وإقرار هذا الحزب الشيعي هو عودة إلى الوراء وقضية شديدة الخطورة على أمن مصر القومي[١١].

الدستور والقوانين تمنع إنشاء أحزاب دينية في المجتمع، فالأحزاب الإسلامية التي نشأت مثل (الحرية والعدالة) و(النور) لم تنشأ بوصفها أحزاباً دينية، إنما بوصفها أحزاباً سياسية ذات مرجعية دينية، والترخيص لهذا الحزب الشيعي يدفعنا للتساؤل عن هويته وانتمائه وعلاقته بحزب الله الشيعي اللبناني.

ونحن نعتقد أن هذا الحزب لا يشكل إضافة للحياة السياسية المصرية، بل يشكل عبئاً عليها وارتباكاً لها؛ لأنه حتماً – إذا نشأ الحزب وتم الترخيص له – ستنشأ صراعات دينية – دينية نحن في غنى عنها.

وإذا ما نجح حزب (التحرير) الشيعي في إخفاء هويته الدينية، وأظهر وجهاً سياسيًّا لا ترفضه القوانين، فهل يغلّب الحزب الجانب الوطني على

الجانب المذهبي؟ أم يحدث العكس، وتصبح المرجعية الدينية هي الأساس الذي يحتكم إليه وتنظم عمله؟

إنشاء أحزاب مذهبية في مصر أمر غير مبرر على الإطلاق، خصوصاً في هذا التوقيت الذي يتميز بالانفلات في كل شيء، ولكن في ذات الوقت يجب ألا يخيفنا إنشاء حزب شيعي في مصر، وباختصار الأحزاب الشيعية ليس لها ما يبررها أو يخيفنا منها[١٢].

وإذا كانت لجنة شؤون الأحزاب السياسية، قد رفضت تأسيس حزب (التحرير)، الشيعي، وقررت عدم قبول الإخطار المقدم من أحمد راسم النفيس، على أن يعرض القرار على المحكمة الإدارية العليا، فإن الرفض جاء بسبب عدم استيفاء الشروط المقررة قانونيًّا، حيث إن الإخطار الذي تقدم به أحمد النفيس منفرداً اقتصر على ٣٦ توكيلاً صادراً له بوصفه وكيلاً عن المؤسسين، ولم يحضر باقي وكلاء المؤسسين أو وكلاء عنهم لاتخاذ الإجراءات أمام لجنة الأحزاب السياسية.

وتقدم أحدهم وهو، وليد عادل عبيد، الصادر له ٢٦٥٦ توكيلاً بطلب استرداد التوكيلات المشار إليها الصادرة له بدعوى أنه لم يفوض أحداً في تقديمها، وبذلك فإن الإخطار لم يستوفِ شرطاً أساسيًّا خاصًّا بنصاب الإخطار العددي الوارد في المادة السابعة من قانون الأحزاب السياسية رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧م المعدل بالمرسوم بقانون رقم ١٢ لسنة ٢٠١١م، فضلاً عن أنه لم يتم النشر خلال الثمانية أيام اللاحقة للإخطار بالمخالفة للفقرة السادسة من المادة الثامنة من القانون المشار إليه[١٣].

الهوامش:

(١) أهل البيت في مصر، مجموعة، قدم له هادي خسرو السفير الإيراني الأسبق في مصر.

(٢) د. ناصر القفاري، قضية التقريب بين السنة والشيعة.

(٣) موقع المعصومين الأربعة عشر، نقلاً عن مجلة المنبر الشيعية الكويتية.

(٤) تقرير مركز ابن خلدون حول الأقليات لسنة ١٩٩٩، ص١٨٣.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) مقال (الصحافة الفارسية في مصر) للسفير الإيراني السابق في مصر هادي خسرو المنشور في صحيفة القاهرة، بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٤م.

(٧) تقرير مركز ابن خلدون لسنة ١٩٩٩، ص ١٨٤.

(٨) مجلة الوطن العربي ١٩٩٦/١١/١م، وصحيفة الشرق الأوسط ٢٠٠٢/١١/١٧م.

(٩) مجلة النور التي تصدرها مؤسسة الخوئي، الأعداد ١٢٢، ١٢٣، ١٣٣، ١٤٨.

(١٠) صحيفة الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٨/٢١م.

(١١) العربية نت، ٣٠ أكتوبر ٢٠١١م.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) المصري اليوم، ١٢ نوفمبر ٢٠١١م.

الفصل الرابع عشر

التشيع في السودان.. تمدد في هدوء

الفصل الرابع عشر

التشيع في السودان.. تمدد في هدوء

طوال التاريخ الإسلامي، لم يعرف التشيع إلا عندما توثقت العلاقة بين السودان وإيران بعد نجاح الثورة الإيرانية، وعن طريق ما تقدمه إيران من منح دراسية للطلاب السودانيين، وعن طريق نشاط السفارة الإيرانية في مجال تطوير العلاقات السودانية الإيرانية، وحرصها على إنشاء المراكز الثقافية ورعايتها بعناية.

وقد ركز الإيرانيون في بدايات دخولهم إلى السودان على زياراتهم لشيوخ الطرق الصوفية وتوثيق العلاقة بهم؛ وخصوصًا من يدعي منهم أنه من آل البيت، والتظاهر لهؤلاء الشيوخ بأنهم يجتمعون وإياهم في محبة آل البيت ومناصرتهم، وادعاؤهم أن أساس اعتقادهم واحد، وهكذا تتوالى الزيارات لهؤلاء مع الإغراءات المادية لهم، فتكونت العلاقات المتينة؛ ومن خلال هؤلاء الشيوخ تم الوصول إلى مريديهم وأتباع طرقهم، وسمح لهم بإلقاء المحاضرات في مساجدهم وقراهم[1].

العمل المؤسسي من أشد الأنشطة تأثيراً على الفرد والمجتمع؛ إذ يجد الفرد نفسه عضوًا في العمل بالتدريج، ولا بد أن يتشرب في أثناء عمله شاء أم أبى أفكار صاحب العمل، وهذا ما اتجهت إليه أنظار الشيعة في السودان، فاستوعبوا أكبر عدد ممكن من الموظفين سواء في المراكز أو المعاهد التابعة لهم على شكل حراس ومستخدمين وسكرتارية وسائقين ومترجمين وغير ذلك، وهذا التوظيف بهذه الكثرة ليس سببه كثرة العمل وضغوطه بقدر ما هو استيعاب أكبر قدر ممكن للتأثير المباشر عليهم عقديًّا. وإضافة إلى ذلك اتجه اهتمام الشيعة إلى الأساليب التي تمس المجتمع مباشرة، مثل إنشاء المدارس والمعاهد، والجمعيات.

وقد ركزت إيران على إنشاء المراكز الثقافية، وأهمها مركزا الخرطوم وأم درمان، حيث تُعدّ هذه المراكز آليات لتنفيذ الأنشطة في مجال نشر التشيع بين المثقفين، وهي في الوقت نفسه تمثل واجهات يتستر خلفها دعاة الشيعة لنشر التشيع في السودان.

وللمركز الثقافي أقسام عدة أهمها قسم الإعلام والثقافة، وهو يحتوي على مكتبة لأشرطة الفيديو، وأشرطة الكاسيت، والجرائد الإيرانية، ومن أهم عروض الفيديو التي تقدم: عروض عن ولاية الإمام علي رضي الله عنه، وعن بطلان بيعة أبي بكر رضي الله عنه في السقيفة، وأنها كانت بمحاباة وقبلية، ويتم في هذا القسم نشر أشرطة فيها سبٌّ للصحابة رضي الله عنهم وخصوصاً أبا بكر و عمر، وتوزع في هذا القسم الكتب الخاصة بفكر الشيعة لزوار المركز وخاصة الطلاب. ومن أخطر أنشطة هذا القسم تقديم المنح الدراسية للجامعات الإيرانية، وأكثر المنح تكون لجامعة الإمام الخميني؛ لأن

هذه الجامعة تقوم بتدريس ما يعرف بالفقه الجعفري، وقد تم خلال السنوات الأخيرة إرسال عدد كبير من الطلاب إلى تلك الجامعة، وخاصة الطالبات، وقد تخرج في تلك الجامعة عدد كبير، وتم تعيين أغلبهم في المراكز الثقافية الإيرانية، وبعضهم في السفارة الإيرانية بالخرطوم، وتعطى تلك المنح للطلاب الذين سبق التحاقهم بإحدى الدورات التي ينظمها المركز، والذين يبدو عليهم الاستعداد لمناقشة العقيدة، أو يظهر أن لديهم رغبة في المال مقابل التنازل عن عقيدتهم، ويقوم بمهمة مراقبة الطلاب مشرف مكلف رسميًّا بتدوين ملاحظاته عن مدى تأثر الدارسين.

أما قسم الدورات، فيقدم عددًا من الدورات حول عدد من الموضوعات والمهارات: فهناك دورات في اللغة الفارسية للعامة والمثقفين، فيستشهدون في أثناء تدريسها بأفكارهم، ويناقشون فكرة الإمامة والرجعة، وغيرها من عقائد القوم، ووقع بذلك كثير من الدارسين بسبب الدورات في شباكهم.

وهناك دورات في الخط الفارسي، وعبرها يضعون السم في العسل بترسيخ أصولهم في خطوط عريضة لا تغيب عن الذهن بتكرارها.

وهناك دورات في الفقه المقارن، يدرس في منهجها كتاب (الفقه على المذاهب الخمسة) ويعنُون بها المذاهب السنِّية الأربعة المعروفة، إضافة إلى مذهب الشيعة الفقهي (المذهب الجعفري)، ويؤتى بالمعلمين الذين يقومون بتدريس هذا النوع من الدورات من إيران مباشرة، ويقوم من يدرس في هذه الدورات بترجيح جانب المذهب الجعفري دومًا وفي كل قضية، مركِّزًا على أن الإمام جعفر الصادق إمام معصوم، وأن كل المذاهب السنية قد أخذت منه، ويحرصون على تكرار مقولة منسوبة للإمام أبي حنيفة، وهي: (لولا السَّنَتان

لهلك النعمان)، ويعنون بذلك أن أبا حنيفة قد درس سَنَتين على الإمام جعفر الصادق.

ويتم تنظيم دورات في المنطق، يدرس فيها كتاب (خلاصة المنطق) وهو مدخل للتشكيك في عقائد الطلاب، فبه يبدؤون، ثم يدخلون في الفقه المقارن، ثم يُخرِجون الطلاب من السُّنَّة إلى التشيع.

وتنظم أيضًا دورات في أصول الفقه، وتقام للطلاب الجامعيين، وبالأخص طلاب جامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، فيقوم المدرس الإيراني بتدريس هذه المادة لأهميتها عندهم؛ ففي هذه المادة خاصة يتكلمون عن الخلاف بين السنة والشيعة، وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويكفِّرون الصحابة إلا قليلاً، فيثور النقاش بين الطلاب في مسألة لعن الصحابة، وينتهي هذا النقاش بإقناع عدد ليس بالقليل من الطلاب.

ومن أهم أقسام المركز الثقافي، قسم المكتبة، فتوجد في المركز مكتبة عامة تحوي كميات من الكتب في جميع التخصصات؛ وذلك لجلب كل طبقات الطلاب والباحثين، واستقطاب كل فصائل المجتمع، ومن أقسام تلك المكتبة جناح خاص بالعلوم الشيعية باللغتين العربية والفارسية، وتتوافر فيها الصحف اليومية السودانية والإيرانية.

ويحتوي المركز على قسم المناسبات، وهو من الأقسام المهمة جداً في المركز؛ فهو يختص بإقامة المناسبات الدينية والسياسية، مثل إقامة ذكرى ميلاد الأئمة الاثني عشر، وذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وذكرى الإسراء والمعراج، ويوم عاشوراء الذي

يجتمعون فيه ويبكون ويسبُّون الصحابة، وتقام مناسبات أخرى مثل تأبين الأئمة، وكذلك الاحتفالات السياسية كذكرى تولي الحكم، وميلاد الخميني وموته، وعيد النيروز (وهو عيد وثني مجوسي معروف)، وسائر الاحتفالات التي يقيمها الشيعة في العالم.

ونظراً للاهتمام العظيم الذي يوليه الشيعة لأنشطة التشييع قاموا بإنشاء المكتبات العامة التي تمثل في السودان مأوى لكل الطلاب لاعتبارات عدة، ومن أبرز تلك المكتبات: مكتبة المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، مكتبة المركز الثقافي الإيراني بأم درمان، مكتبة الكوثر بحي السجانة، مكتبة مركز فاطمة الزهراء بحي العمارات، مكتبة مدرسة الجيل الإسلامي بحي مايو، مكتبة معهد الإمام جعفر الصادق بحي العمارات.

وقد حققوا نجاحاً في استخراج إعفاءات جمركية (عبر الاتفاقيات بين السودان وإيران ومن خلال الأنظمة والأعراف الدبلوماسية بين الدول) لإدخال الكتب والأشرطة المسموعة والمرئية، وقد أدخلوا ٨ ملايين نسخة من الكتب المختلفة التي تدعو إلى فكر الشيعة، وقد نشرت منها كميات ووزعت على المتصوفة والطلاب والمعاهد الدينية بالسودان عبر مشرفي المعهد الإيراني بالخرطوم.

أما المؤسسات التعليمية التي أنشأتها إيران، فأهمها المدارس، فهناك مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية للبنين بمنطقة الحاج يوسف في محافظة شرق النيل، ومدرسة الجيل الإسلامي لمرحلة الأساس للبنين بمنطقة مايو في محافظة الخرطوم، ومدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو في محافظة الخرطوم.

ومن المعاهد، يوجد معهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بمنطقة الفتيحاب بمحافظة أم درمان، الذي أنشئ سنة ١٩٩٦م، لاستقطاب طلاب الخلاوي، ومعهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات، محافظة الخرطوم، وهو من أخطر مراكز التشيع؛ إذ لا يقبل سوى حَفَظَة القرآن الكريم، ويلاحظ تركيزهم على حفظ القرآن ممن لا يحملون علوماً شرعية أخرى لهدف واحد، وهو قبول الناس واحترامهم لحافظ القرآن الكريم، وخصوصاً أبناء الأرياف والقرى، ومن ثم وبعد التأثير عليهم يرسل من حفظ منهم القرآن إلى قريته، ويتبنى إما فتح خلوة له أو بناء مسجد يؤمه هو، أو أن يكون إمام مسجد القرية القديم، ثم يبدأ في التأثير في أهل قريته وقبيلته.

وتهتم إيران بالجمعيات والروابط والمنظمات، فأنشأت رابطة أصدقاء المركز الثقافي الإيراني، وهذه الرابطة ليست إلا (رابطة شيعة السودان) فهي واجهة شيعية تتم عبرها اللقاءات مع المدعوين للتشيع، ويتم في هذه اللقاءات إلقاء المحاضرات وتقديم الكتب والهدايا من قبل مدير المركز.

وهناك أيضاً رابطة الثقلين، ورابطة آل البيت، ورابطة المودة، ورابطة الظهير. وهذه الروابط الأربع روابط طلابية يشرف عليها بعض خريجي الجامعات الإيرانية والسورية واللبنانية والتركية، ولها أنشطة مختلفة كإقامة الندوات والمحاضرات وإصدار مجلات حائطية ومطويات.

أما رابطة الزهراء، فهي رابطة خاصة بالطالبات في المدارس والمعاهد والجامعات، وتشرف عليها إحدى أهم الناشطات في الحركة الشيعية النسائية، وهي أيضًا عضو مهم ومؤثر في الاتحاد النسائي الإسلامي السوداني العالمي.

يقوم المركز الثقافي الإيراني بدفع مبالغ كبيرة لكل الروابط المذكورة من أجل تمويل الأنشطة؛ إضافة إلى الرسوم الدراسية للأعضاء، وتأمين ملابس وكتب دراسية ومبالغ مالية للمواصلات، وغير ذلك مما يحتاج إليه الطلاب.

وتوجد أيضاً جمعية الصداقة السودانية الإيرانية، ونشأت هذه الجمعية بدعم بعض السياسيين من البلدين، ويرأسها حالياً الدكتور المكاشفي طه الكباشي، وهو شخصية لها اعتبارها عند العامة؛ لارتباطه الكبير بالصوفية، فهو من كبار زعماء الصوفية في السودان ومن أشهر رجالاتها، وكان رئيساً للقضاء في مدة تطبيق الشريعة في عهد النميري، وقد أصدر حكماً نهائيًّا بإعدام محمود محمد طه زعيم الحزب الجمهوري ومؤسسه، ردةً، وللمشرفة على رابطة الزهراء جهود كبيرة في الجمعية نفسها.

وتوجد أيضاً منظمة طيبة الإسلامية، وهي تعنى بإنشاء المدارس والمعاهد، ويتبعها بعض المعاهد والمدارس سالفة الذكر، ويتبعها ما يعرف بـ (مجلس أمناء المدارس الإيرانية بالسودان) الذي يضم عدداً كبيراً من الشخصيات السودانية الموالية للشيعة في السودان.

الهوامش:

(١) مادة هذا الفصل مستقاة من مقال د. عثمان عيسى، (حتى لا يقال: كان السودان بلداً سُنيًّا، مجلة البيان - العدد ١٦٦).

الفصل الخامس عشر

التشيع في الجزائز.. كمون وتحفز

الفصل الخامس عشر

التشيع في الجزائر.. كمون وتحفز

كان الخبر الذي نشرته صحيفة (الشروق) اليومية الجزائرية في عددها الصادر بتاريخ: ٢٣/٠١/٢٠٠٧م تحت عنوان: (جهات إدارية تتلقى تعليمات للتحقيق في ظاهرة التشيع في الجزائر)، دون أن تكشف عن طبيعة هذه الجهات، ثم التقارير التي أعقبت ذلك، وأسندت إلى جهات أمنية مطلعة أن مصالح الأمن لولايات عدة منها وهران ومعسكر وتيارت وتبسة وباتنة وسطيف وقسنطينة وجيجل والجزائر العاصمة هي التي تقوم بالتحقيق السري لمعرفة حقيقة ما يروج له في الأوساط الشعبية خاصة.... كان هذا الخبر وهذه التقارير مفاجئين للشارع الجزائري الذي كان بعيدًا تمامًا عن ظاهرة التشيع وثقافتها[1].

غير أن أول بروز علني لشيعة الجزائر كان عام ٢٠٠٦م خلال الاحتفال بيوم عاشوراء، حيث خرج عشرات المتشيعين إلى شوارع مدينة عين تيموشنت الواقعة في غرب الجزائر في صورة لا تختلف عن احتفالات الشيعة بهذا اليوم، سواء في إيران أو العراق أو جنوب لبنان. وقد فتح هذا الحدث أعين السلطات

التي شعرت بالحرج؛ لأنها لم تتحرك في الوقت المناسب، خاصة أنها كانت تقول بعدم وجود أنصار للمذهب الشيعي في الجزائر، بل غضت الطرف عن خلايا شيعية كانت تنشط في مدينة وهران الساحلية الغربية وبعض مدن الشرق وخاصة سطيف وباتنة.

وعلى الرغم من المؤشرات التي تعلن عن دخول التشيع للجزائر، إلا أن هذه المسألة مازالت غير مطروحة رسمياً، إذ لم يصدر أي موقف يشير إلى ذلك وينبه إلى هذا الأمر باستثناء بعض الكتابات المحدودة في الصحف، إلى جانب تسليط بعض المواقع الإعلامية على شبكة الإنترنت الضوء على هذا الموضوع.

لا تتوافر أرقام رسمية حول عدد الشيعة في الجزائر، ولا يزال الحضور الشيعي قليلاً في الجزائر مقارنة بذلك الحضور المسجل في بعض البلدان المغاربية كالمغرب الذي يبدو واضحاً من خلال وجود ثلاث جمعيات شيعية ثقافية معترف بها على الأقل، وهي (الغدير) و(البصائر) و(التواصل).

وإذا كان الحضور الشيعي في الجزائر قليلاً، ويمكن ملاحظته في بعض الولايات والمدن مثل الجزائر العاصمة، باتنة، تبسة، خنشلة، تيارت، سيدي بلعباس، غير أن عدداً من المواقع الشيعية عبر شبكة الإنترنت، من بينها موقع (مركز الأبحاث العقائدية)، وهو أكبر المواقع الشيعية، إضافة إلى (شبكة شيعة الجزائر) التي ترفع شعار (من المدرسة المصالية إلى المدرسة الخمينية)، تقول عبر تقارير نقلتها - هذه المواقع الإلكترونية - إن المذهب الشيعي (يزداد انتشاراً بشكل سرّي في قطاعات واسعة من المجتمع الجزائري، بعد أن نقله إليهم مدرسون وموظفون قدموا للعمل من العراق وسورية ولبنان). ويرى المشرف العام على (شبكة شيعة الجزائر) الذي

يسمي نفسه (محمد العامري - ٣٠ عاماً) أن الاستبصار - التشيع - في الجزائر مستمر وأكثر من منتشر، بل منفجر في كامل أرجاء التراب الجزائري، متنقلاً عبر كل الطبقات الاجتماعية، فسابقًا كان يدور بين الشبان والآن ببركة صاحب العصر والزمان (عليه السلام) دخلت بيوت بكاملها في التشيع.

ولا يملك المشرف على شبكة (شيعة الجزائر)، أي إحصاءات أو أرقام على مدى انتشار التشيع بين الجزائريين، ويقول: (ليس هناك إحصاءات حديثة، وحتى إن كانت هناك إحصاءات تبقى سرًّا، ولا تسلم لأي كان لأسباب يطول شرحها). غير أن بعض المراقبين يقدرون عدد الشيعة في الجزائر بالمئات (تقدرهم بعض المصادر الشيعية بثلاثة آلاف)، وهم منتشرون في أغلب مدن البلاد، كان عددهم لا يتجاوز العشرات في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات، يمارسون شعائرهم وطقوسهم بحرية كإحياء الحسينيات وقيام المآتم مع بداية كل محرم إلى العاشر منه، دون أن يتعرضوا إلى أي نوع من المضايقات.

ويرى باحثون جزائريون أن انتشار المذهب الشيعي في الجزائر يعد أمراً ذاتيًّا بالدرجة الأولى، لأن وسائل الدعاية المتبعة تعتمد على الانتشار السري، بسبب عوائق تتعلق بمدى قابلية المحيط لهذا النوع من الفكر، بمعنى أنه قد لا يتطور إلى درجة الظاهرة الاجتماعية.

ويرى المراقبون أن التشيع يتوسع وينتشر بفضل الدعاة النشطين الذين يوجد أغلبهم في المؤسسات التربوية، وتوافر المراجع الشيعية المتداولة كالمجلات والنشرات والكتب أبرزها: مرآة الأنوار، مشكاة الأسرار، تفسير

العسكري، مجمع البيان، تفسير الكاشي، تفسير العلوي، تفسير السعادة للخرساني، ومجمع البيان .. وغيرها من المراجع الأخرى التي كانت متداولة ببعض المساجد وبين عامة المصلين والطلبة لعدم معرفة حقيقتها وخطرها على الكثير من القراء.

وكان لوجود جاليات شيعية من العراق وسورية ولبنان في الجزائر دور في انتشار المذهب بين أهل البلاد حسب ما أشار إليه العامري: (إخوتنا العراقيون والسوريون واللبنانيون عندما كانوا في الجزائر أساتذة ومدرسين لعبوا دوراً في الدعوة، وكانوا من المهدين لقبول فكرة الولاء لمحمد وآله صلوات الله عليهم، وعندما اندلعت الثورة الإسلامية الإيرانية وجد خط الإمام الخميني أرضية خصبة لنشاطه في أرض الثورة والرفض).

ويرى شيعة الجزائر أن مذهب (آل البيت) ليس غريباً عن بلادهم، وأن جذوره تعود إلى (مئات السنين). بدليل أن الأمازيغ (البربر سكان الجزائر الأوائل) في الأصل كانوا شيعة، فبالنسبة إليهم كان للبربر في الجزائر (ولاء عظيم لأهل البيت ولهم فيها ثورات، وبالخصوص في زمن استشهاد الإمام الحسين، وكانوا من الأوائل الذين فتحوا بيوتهم وصدورهم للفاطميين، وحاربوا معهم جنباً لجنب)[٢].

وتذكر (الجيرواس) وهي فتاة جزائرية من أصل بربري، أحد أعضاء شبكة شيعة الجزائر، أمثلة عدة للتأكيد على أمازيغ كانوا يعتنقون المذهب الشيعي، وذلك حسب قولها:

- بعض مناطق الأمازيغ لا يأكلون لحم الأرنب وهم لا يعلمون لماذا، ومعلوم أن الأرنب محرم عندنا نحن الشيعة.

- في عاشوراء يتوقف الأمازيغ عن العمل ويقولون: إن العمل في مثل هذا اليوم يجلب النحس وإن ما اكتسبته خلال ذلك اليوم لا بركة فيه.

- يذبحون في عاشوراء دجاجاً أو طيراً، فالمهم هو إسالة الدم في ذلك اليوم معتبرين أن هذا أمر مبارك دون أن يعلموا أن هذه الدماء رمز للتذكرة بدماء الحسين وأصحابه الذين استشهدوا في كربلاء.

- عند الأمازيغ لا تجد أحداً اسمه أبو بكر أو عمر أو عائشة... إلخ، لكنّك كثيراً ما تجد اسم سيد علي، وسيد أحمد وكلمة سيد لا تجدها في أسماء أخرى عدا اسم علي، واسم أحمد الذي هو في حد ذاته محمد.

- إذا ذكر الأمازيغ اسم فاطمة قالوا: (للا فاطمة) أي السيدة فاطمة، وإذا ذكروا عائشة لم يدرجوا لقب (للا)[٣].

وكان للمذهب الشيعي وجود كبير في الجزائر خلال مرحلة الدولة الرستمية (٧٧٦-٩٠٨ م) التي أسسها الإباضيون، وجعلوا من تيهرت (تيارت حاليًّا) عاصمة لهم ومهداً لثقافتهم وفكرهم في الشمال الإفريقي حتى قام الداعية الشيعي أبو عبيد الله الشيعي صاحب الفاطميين بالقضاء على دولتهم عام ٩٠٨م. وتحول الإباضيون نحو الجنوب الجزائري، واستقروا في منطقة وادي ميزاب (غرداية).

وكانت هناك دويلة أخرى قامت في الجنوب الغربي للجزائر وجنوب المغرب إلى جانب الدولة الرستيمة، سميت دولة سجلماسة (أو الدولة المدارية) (٧٥٨ - ٩٠٩م) وهي دولة كالرستمية أسسها شيعة، وقضى الفاطميون عليها كذلك.

ومع قيام الدولة الفاطمية (٩١٠ – ٩٧٣ م)، انتشر التشيع بالطريقة الفاطمية التي كانت إسماعيلية باطنية في الجزائر وسائر مناطق المغرب العربي. إلا أن الشيعة انقرضت بعد عهد الفاطميين ولم يعد لها أثر، ولم يأتِ ذكرها إلى أن ظهر التشيع الحديث مع ظهور الخميني بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بالطريقة المنشرة بإيران لمذهب الإمامية (الاثنا عشرية) الجعفرية نهاية السبعينيات.

ولا يعرف للشيعة في الجزائر أي نشاط علني يمكن من خلاله تتبع مواقفهم وآرائهم في الشأن الوطني، وهو ما يجعل البحث في هذه المسألة تعترضه عراقيل عدة، حيث لا يوجد لهم أي صحيفة ناطقة باسمهم، ولا يوجد أي مسجد أو حسينية، ولكن ظهر لهم حديثاً مواقع إلكترونية عدة في الشبكة العالمية جعلوا منها منبراً لهم، للحديث عن وجودهم والتعبير عن آرائهم دون التدخل في شؤون الدولة بحكم أن لديهم – بحسب زعمهم – مهمة أسمى من ذلك بكثير، ألا وهي تقديم النصيحة وكشف الحقيقة.

ويقول (محمد العامري) المشرف العام على (شبكة شيعة الجزائر): (لا نعاني أيّ مشكلات مع النظام حالياً وكما أن الشيعة لم يعتدوا على أيّ مادة من الدستور أو رمز من رموز الدولة، وإن كانت هناك بعض التحفظات عبر تصرفات بعض من يعدّون أنفسهم فوق القانون، فهم بالنسبة إلينا لا يمثلون شيئاً، بل هم يزيدون من انتشار التشيّع دون أن يشعروا بذلك؛ لأن المظلوم منتصر عاجلاً أم آجلاً).

ويبرز العامري أنه لا يوجد أي عائق يعترض التشيع في الجزائر، ويفسر ذلك بعدم وجود أيّ ممانعة من حيث المبدأ من قبل السلطات الجزائرية

لانتشار التشيع، مشيراً إلى أن المادة ٦١ من الدستور الجزائري تنصّ على: (الحرية الفردية لجميع الناس في اختيار معتقداتهم التي يختارونها).

ويقول العامري: (إن معاناة الشيعة الآن مقتصرة مع المنظومة التربوية الجزائرية، نتيجة تمرّدهم على البرامج المسطرة لهم أو المفروضة عليهم من طرف وزارة التربية والتعليم).

وقد أوضح قرار وزير التربية الوطنية أبو بكر بن بوزيد، توقيف ١١ مدرّسًا شيعيًّا من المدارس التعليمية التي كانوا يشتغلون فيها، مدى اختراق الشيعة المدارس الجزائرية، وتفسيرًا لمدى تذمر العامري من المنظومة التي تشرف عليها الوزارة.

لكن الذي تناساه العامري أن الوزارة قامت بتحويل المبعدين إلى (أجهزة أو مناصب إدارية)، وكان الهدف من إبعادهم تأمين الوسط المدرسي وحمايته وتجنب التأثير الشيعي المباشر على التلاميذ بالمؤسسات التربوية، وكذلك إبعاد المدرسة الجزائرية عن الولاءات والصراعات، سواء بين الأحزاب السياسية أو بين المذاهب الدينية.

وجاء قرار وزارة التربية الوطنية، بعد أن ناشد مجموعة من الأولياء بمدينة الشريعة (ولاية تبسة) الجهات المعنية للتحرك بقوة لوضع حد لخطر المد الشيعي ببعض المؤسسات التربوية، حيث يعمد بعض الأساتذة إلى تمرير معتقدات وتوجهات شيعية معتمدة أساسًا عن تقديس آل البيت والطعن في بعض الصحابة وشتمهم.

وغير بعيد عن مدينة الشريعة أرسلت مديرية التربية لجنة تحقيق لإحدى المتوسطات ببئر مقدم على إثر شكوى من مدير المتوسطة، مفادها أن أستاذاً

قام في أثناء إحدى الحصص بسب وشتم أحد الصحابة الكرام أمام مسمع التلاميذ الذين أبلغوا أولياءهم بالحادثة، حيث تحرك الأولياء بقوة وأخذت القضية أبعاداً وتداعيات كبيرة، كانت محل متابعة حتى من قبل المسؤولين بالمنطقة، وعلى الرغم من محاولات أطراف عدة طي الملف وتطويق المشكلة من خلال مطالبة بعض الجهات المسؤولة من الأستاذ الذي شتم الصحابة، تقديم اعتذار أمام الأولياء والتلاميذ، إلا أن البعض مازال يبدي تخوفًا من أن تكون هذه السلوكيات بداية لإحياء دعوة شيعية، خاصة أن هناك معلومات تؤكد أن منطقة بئر مقدم والشريعة وتبسة يوجد بها عناصر من أتباع المذهب الشيعي، البعض منهم لا يتورع عن الجهر بذلك والبعض الآخر مازال يستعمل (التقية) درءاً لأي مشكلة قد تلحق به[٤].

تقول بعض المصادر الجزائرية: إن مدينة سيدي خالد التابعة لولاية بسكرة (جنوب الجزائر) تُعدّ المركز الروحي لشيعة الجزائر. إذ في هذه المدينة يوجد ضريح رجل يدعى خالد بن سنان العبسي، وتدعي بعض المصادر التاريخية غير المدققة أنه كان نبيًّا وضيّعه قومه أهل الرس من أذربيجان، وكان وراء إطفاء نار الحرتين التي عبدها العرب المجوس، وانتقلت إلى بلاد فارس. ويذهب البعض بعيداً في تقديس النبي المجهول، إذ يؤمن هؤلاء بأنه بعث نبيًّا للبربر في منطقة تسمى (نارا) بمنطقة المنعة في باتنة بالشرق الجزائري. وعلى الرغم من أن الأحاديث الصحيحة نفت نبوته إلا أن قبره المزعوم اتخذ مزارًا من قبل شيعة الجزائر. وكانت السلطات على علم بالشعائر التي كانت تقام في هذا الضريح، ولكنها تغاضت لأسباب سياسية.

وقد فتحت بعض الصحف الجزائرية ملف شيعة الجزائر معتمدة على تقارير أمنية سابقة تشير إلى تمكن جزائريين شيعة من دخول العراق لمقاومة

الاحتلال الأمريكي والانضمام للطائفة الشيعية. وفي إيران يوجد جزائريون تشيعوا، وتمكنوا من بلوغ درجات متقدمة في الحوزة العلمية بعد أن أصبحت الجزائر في قائمة الدول التي تحظى باهتمام المسؤولين في إيران. وكان الدكتور القرضاوي قد صرح لصحيفة (أخبار اليوم) الجزائرية (بأن الجزائر تُعدّ من أهم البلاد العربية التي يستهدفها المد الشيعي، وهذه النزعة سوف تدفع إلى المواجهة بين المذهبين). وقد مثلت هذه الحقائق صدمة للمراقبين في الجزائر وخارجها. خاصة أن دعاة التشيع لم يواجهوا بمعارضة حازمة من قبل الكثير من علماء السنة، الذين بحسب الشيخ القرضاوي افتتنوا بالنموذج الإيراني في الحكم ومنجزاته السياسية والعسكرية.

ما يثير مخاوف السلطات الجزائرية هو محاولة الشيعة اللعب بورقة البربر من خلال دغدغة عواطفهم وتبني قضيتهم التي تحركها دوائر أجنبية وبأيادٍ جزائرية، خاصة أن دعوات التحريض التي نشرت باللهجة البربرية على موقع (شيعة الجزائر) أعطت صورة واضحة حول الخط العام لشيعة الجزائر وأهدافهم.

ولذلك لم تتوانَ مصادر جزائرية رسمية عن اتهام جهات استخباراتية أجنبية بإدارة خيوط شبكة التشيع العنكبوتية، وخاصة إيران التي تنفق أموالاً ضخمة لنشر المذهب الشيعي خدمة لقضياها السياسية والعسكرية. وهذه الشبكة تستخدم الأساليب نفسها التي استخدمتها جماعات التنصير من خلال استغلال الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تعانيها شريحة واسعة في الجزائر وأيضاً حالة عدم الاستقرار النفسي والديني التي أوجدتها سنوات العنف[٥].

الهوامش:

(١) أنور مالك، الشيعة والتشيع في الجزائر: حقائق مثيرة عن محاولات الغزو الفارسي، موقع عرب تايمز، ١٤ يونيه ٢٠٠٧م.

(٢) عبدالمالك حداد، التشيع يخترق المجتمع الجزائري، مجلة الراصد/ عدد شهر جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ.

(٣) شيعة الجزائر.. موسم خلط الأوراق واللعب بورقة البربر، مجلة المجلة ٧-١٣/١٢/٢٠٠٨م.

(٤) عبدالمالك حداد، التشيع يخترق المجتمع الجزائري، مجلة الراصد/ عدد شهر جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ.

(٥) شيعة الجزائر.. موسم خلط الأوراق واللعب بورقة البربر، مجلة المجلة ٧-١٣/١٢/٢٠٠٨م.

الفصل السادس عشر

التشيع في المغرب.. نمو مقلق

الفصل السادس عشر

التشيع في المغرب.. نمو مقلق

كان قرار المغرب بقطع علاقاته مع إيران في بداية شهر مارس عام ٢٠٠٩م، تعبيراً عن رفضه للعبث الإيراني في شؤون المغرب ومحاولات طهران نشر المذهب الشيعي، وهو ما اعتبرته الرباط مساساً (بوحدة السنة المالكية)، وهو المذهب السني السائد في المغرب.

أكدت الحكومة المغربية في بيانها الرسمي أن هناك أنشطة ثابتة للسلطات الإيرانية، وبخاصة من طرف البعثة الدبلوماسية بالرباط، تستهدف الإساءة للمقومات الدينية الجوهرية للمملكة، والمسّ بالهوية الراسخة للشعب المغربي ووحدة عقيدته ومذهبه السني المالكي.

واعتبر البيان أن هذا يعد (تدخلاً سافراً في الشؤون الداخلية للمملكة، ويتعارض مع قواعد وأخلاقيات العمل الدبلوماسي)[1].

تبين بعد ذلك أن تحركات الإيرانيين المقيمين في المغرب وفي أوروبا وضعت تحت مراقبة الاستخبارات المغربية، منذ سنة ٢٠٠٤م بعدما كشفت

التحريات الأولية أن الإيرانيين يسعون إلى نشر المذهب الشيعي في المغرب، عن طريق الجالية المغربية المقيمة في أوروبا، خاصة بلجيكا، بهدف تشييع أكبر نسبة ممكنة من الشباب، حينها تحركت عناصر مديرية الدراسات وحفظ المستندات ومديرية مراقبة التراب الوطني بتنسيق مع الاستخبارات الأوروبية، وأنجزت تقارير عدة مفصلة، تبين من خلالها أن هناك محاولات مكثفة من طرف حكومة طهران إيجاد تيار شيعي يمتد داخل المغرب، انطلاقاً من مناطق الشمال، عن طريق أفراد الجالية المغربية المنحدرين من منطقة الريف من الذين جرى استقطابهم.

وتبين أيضاً أن هذا الملف كان حاضراً بقوة في اجتماعات مسؤولي أجهزة الاستخبارات في الدول المغاربية، حيث تداولوا جميع التحركات المسجلة في المدة التي سبقت قطع العلاقات والتي عرفت تنامي النشاط الشيعي على أراضي المغرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عبر ما يسمى منظمات غير حكومية تسعى من خلالها إلى نشر المذهب الشيعي.

وثبت لدى السلطات المغربية أن عدداً من الدبلوماسيين بالسفارة الإيرانية في الرباط، على رأسهم السفير الإيراني ومستشاره الإعلامي، يقودون حملة اتصالات وتعبئة واستقطاب أفراد وتنفيذ مخططات لاختراق أحزاب وجمعيات، وتأكد أن السفير الإيراني بالرباط، وحيد الأحمدي، لم يكن أبدًا دبلوماسيًّا في وزارة الخارجية الإيرانية، بل جرى استقدامه من المجمع العالمي لأهل البيت، الذي يوجد مقره في العاصمة طهران، حيث كان يشغل منصب معاون ثقافي للمجمع، وأميناً عامًّا للمؤتمر العالمي، الذي يعقده المجمع لأتباع المذهب الشيعي في العالم، ما يفسر الهدف الحقيقي لوجود سفير عالم دين

متخصص في نشر التشيع في العالم، وذلك يؤكد أن إيران كانت تخطط لاستهداف العقيدة الدينية للمغاربة.

خاصة أن المجمع العالمي لأهل البيت مؤسسة دينية تحظى بدعم مرشد الثورة الإيرانية، ويترأسها وزير الخارجية الإيراني السابق، علي أكبر ولايتي، وهي مؤسسة متخصصة في التعريف بالمذهب الشيعي عبر العالم، واستقطاب النخبة الثقافية والأكاديمية والدينية والإعلامية في العالم الإسلامي، وتضع ضمن أهدافها نشر المذهب الشيعي في سائر أنحاء العالم، والمساهمة في رفع مستوى الظروف المعيشية والأوضاع الاجتماعية لأتباع المذهب الشيعي، وطبع ونشر كتبهم ومؤلفاتهم وتراثهم الثقافي، وإقامة مشروعات اقتصادية لهم.

ومن المعروف أيضاً، أن هذه المؤسسة أسست بطهران جامعة أهل البيت لتدريس العلوم الإسلامية وفق المذهب الشيعي، ويوجد ضمنها طلاب من المغرب العربي، والسفير الإيراني وحيد الأحمدي واحد من القادة وكبار كوادر المجمع المذكور، وتعيينه على رأس البعثة الإيرانية بالرباط يحمل الكثير من الدلالات، أما مستشاره الإعلامي، محمد الشريف العسكري، الذي كان مثار شبهات منذ أن عين بالرباط، فكان يشغل منصب مستشار إعلامي في المجمع العالمي لأهل البيت، إضافة إلى أنه تولى مسؤولية الأنشطة الثقافية الشيعية للسفارة الإيرانية في العاصمة العراقية بغداد، وكان مكلفًا بالتواصل مع الهيئات والأحزاب الشيعية في العراق قبل ذهابه إلى المغرب، وهكذا يتضح أن إيران كان هدفها الأول هو تشييع المغاربة وتمزيق وحدة الصف المغربي من خلال إذكاء الصراع الطائفي ذي الصبغة الدينية والسياسية على غرار ما قامت به في العراق وفلسطين وقبلها في البحرين ولبنان.[٢]

وتحدّثت تقارير مغربية أن هناك أكثر من ثلاثة آلاف مواطن مغربي اعتنقوا المذهَب الشِّيعي، إلا أن السلطات المغربية تنظُر أيضاً بريْبة إلى الأنشطة الإيرانية في أوساط الجالية المغربية في أوروبا واعتناق الآلاف منهم المذهب الشيعي.

وقد أراد المغرب من قطع علاقته الدبلوماسية مع إيران، تحذير نشطاء التيار الشيعي في المغرب، الذين بدؤوا يتحرّكون بكامل الحرية، وأصدروا جريدة (رُؤىً مُعاصرة) تُعبِّر عن مواقف بعض الشيعة المغاربة، التي توقّفت بدورها، ويتّجهون نحو تشكيل جمعيات شيعية، مع أن الدولة لم ترخِّص لهم، كما حدث مع جمعية (أنوار المودّة) في طنجة أو جمعية (اللقاء الإنساني) في وجدة[٣].

وقد اتضحت الصورة بشكل أكثر تفصيلاً بعد أن أصدرت الحكومة المغربية أمراً بإغلاق مدرسة عراقية تعمل في العاصمة الرباط منذ ٣٠ سنة بعد التأكد من ضلوعها في نشر المذهب الشيعي.

وقامت السلطات المغربية على إثر ذلك باستدعاء القائم بالأعمال في السفارة العراقية لإطلاعه على القرار.

وكشف والد أطفال في المدرسة أنه فوجئ بأسئلة من أطفاله في التاريخ الإسلامي لا يملك أجوبة عليها، وهي في رأيه مخالفة لمذهب الإمام مالك الذي عليه أهل المغرب السنة.

وزعم الأستاذ المتهم في المدرسة العراقية أن مدرسته تتبع المنهج العراقي المقرر من وزارة التربية العراقية الخالي من أي دس أو طائفية أو تشيع،

لكن وزارة التربية المغربية أماطت اللثام عن قيامها بإرسال لجنة للمدرسة، واتضح لها أن مناهجها مخالفة للمناهج المغربية.

واستدعت وزارة الخارجية المغربية القائم بالأعمال العراقي ومديرة المدرسة المرتبطة بحزب الدعوة الشيعي العراقي، وأطلعتهما على قرار الإغلاق.

وأشارت مصادر مطلعة إلى أن طفلين كانا قد طردا من المدرسة العراقية بالرباط بذريعة أنهما سنيان، وذلك وفقًا لإفادة والدهما، وهو صحافي وكاتب عراقي.

وأخبر الأب العراقي صحيفة (المساء) المغربية عن تجربة ولديه داخل المدرسة العراقية، وقال: (بدأ الأساتذة يطرحون على الطلبة أسئلة بعيدة عن المقررات الدراسية تؤثر في عقيدتهم، وعندما طلبت من الأساتذة تفسيرًا حول الأسباب التي تدفعهم إلى طرحها، خاصة أن القسم الدراسي يعرف تنوعاً في العقائد والمرجعيات، أصبح ولداي يعانيان الضرب والإهانة يوميًّا؛ لكونهما ينتميان إلى الطائفة السنية).

وأضاف: (توجهت بعد ذلك للتحدث مع المديرة من أجل وضع حد للتقصير الذي يطول ولدي، فأجابتني بأن ليس لها دخل فيما يقوم به المدرسون من تصرفات أو ما يلقنونه لتلاميذ المدرسة).

واختتم الأب تصريحاته بالقول: (بعد استمرار الوضع نحو أسبوع، تم منع الطفلين من دخول المدرسة دون إبداء أي سبب وجيه).

بعد ذلك شرعت وزارة الداخلية المغربية في شن حملة مراقبة على المكتبات العامة ومصادرة الكتب المرتبطة بالفكر الشيعي وبإيران

و(حزب الله)؛ وذلك بهدف محاربة جميع مصادر التغلغل الشيعي وضمان الاستقرار المذهبي الديني[٤].

إن المسافة من طهران إلى الرباط لا تقل عن ٥٢٠٠ كيلومتر، والعاصمة المغربية هي أبعد نقطة عربية على الخريطة من إيران، وعلى الرغم من هذا فقد بدأت الحكومة المغربية بالشكوى من التدخلات الإيرانية.

لا يوجد سبب يجعل المغاربة يفتعلون معركة مع الإيرانيين إلى درجة قطع العلاقات التي تُعدّ أقسى وسائل الاحتجاج الدبلوماسية، وللرباط علاقة مقبولة مع طهران، وتحاشت الانخراط في الجدل ضد مواقف إيران وممارساتها في المنطقة، لكن لدى المغرب حساسية عالية ضد الدعاية الدينية مهما كان مصدرها، وقد اتهم صراحة إيران بأنها تقوم بعمليات تبشير شيعية واسعة في بلد كل سكانه المسلمين سنة ومعظمهم من المذهب المالكي.

السؤال: ما الذي دفع بلداً منفتحاً ومعروفاً بحمايته للحريات الفكرية للغضب إلى درجة قطع علاقته الدبلوماسية ردًّا على نشاط فكري ديني؟ السبب أن البعثة الدبلوماسية الإيرانية في الرباط هي الطرف المتورط، فيما سمته المغرب ممارسات منافية للأعراف الدبلوماسية.

من الخطأ اتهام المغاربة بأنهم جزء من الدعاية السياسية المضادة لإيران، وتخويف السنة من التمدد الشيعي؛ لأن المغرب سبق أن شن حملة كبيرة ضد الحركة السلفية المتشددة السنية؛ لأنه يعدّها مسؤولة عن التطرف المرتبط بالعنف. وقد شملت الحملة اعتقالات ومصادرة كتب سنية تراثية، وأشرطة لدعاة سنة من السعودية ومصر، وغيرهما.

الفارق أن التطرف السلفي نشاط فردي، ومن جماعات غير حكومية، أما التغلغل الشيعي فهو جزء من نشاط المؤسسة الإيرانية الرسمية، كما يؤكد المغاربة. وقد سبق أن اعتقلوا خلية مغربية قيل: إن (حزب الله) دربها في جنوب لبنان، ويقول المسؤولون: (إن جزءاً من المغاربة المقيمين في الخارج كان هدفًا لممارسات إيرانية تفرض على المغرب رفع درجة اليقظة).

السؤال يكرر نفسه: لماذا التشييع، ولماذا الانتشار؟ والجواب أن إيران قررت مبكراً اعتماد حرب هجومية ضد ما تعدّه المؤسسات الدينية التقليدية والرسمية في الدول العربية بشكل عام، وتحديداً في الدول التي تعدها في دائرة الاختلاف السياسي، بما فيها المغرب، وإن لم يكن طرفاً مباشراً في النزاع.

الجماعات الإيرانية والمحسوبة على إيران تنشط في أوروبا وإفريقيا وأستراليا ومعها رسالة سياسية ودينية تعظم موقع إيران بوصفها قائدة للعالم الإسلامي. وهذه الرسالة تمارس كل ما تستطيعه للوصول إلى قلب المجتمعات العربية التي صارت إيران تعدها بعدها الإستراتيجي.

إنها تمثل مشروعاً سياسيًّا أكثر من كونه دينيًّا، وهو يعبر عن حالة جنون العظمة الذي تعكسه خطب القيادات في طهران، وكل ذلك على حساب ميزانية الشعب الإيراني وأمواله[٥].

الهوامش:

(١) الرباط تتهم إيران بنشر التشيع بين المغاربة، موقع بي بي سي باللغة العربية، ٠٧ مارس ٢٠٠٩م.

(٢) إدحماد مولاي عمر، خلفيات قرار قطع العلاقات بين المغرب و إيران، موقع الحوار المتمدن، ٢٣-٣-٢٠٠٩م.

(٣) محمود معروف، ماذا وراء قطْع العلاقات الدبلوماسية المغربية - الإيرانية؟ سويس إنفو، ١١ مارس ٢٠٠٩م.

(٤) بعد طردها طلاباً سنة.. إغلاق مدرسة عراقية بتهمة نشر (التشيع) في المغرب، موقع مفكرة الإسلام، ٢٣ مارس ٢٠٠٩م.

(٥) عبدالرحمن الراشد، هل وصلت إيران حدود المغرب؟ جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ١٨-٣-٢٠٠٩م.